عبدالله الطيب



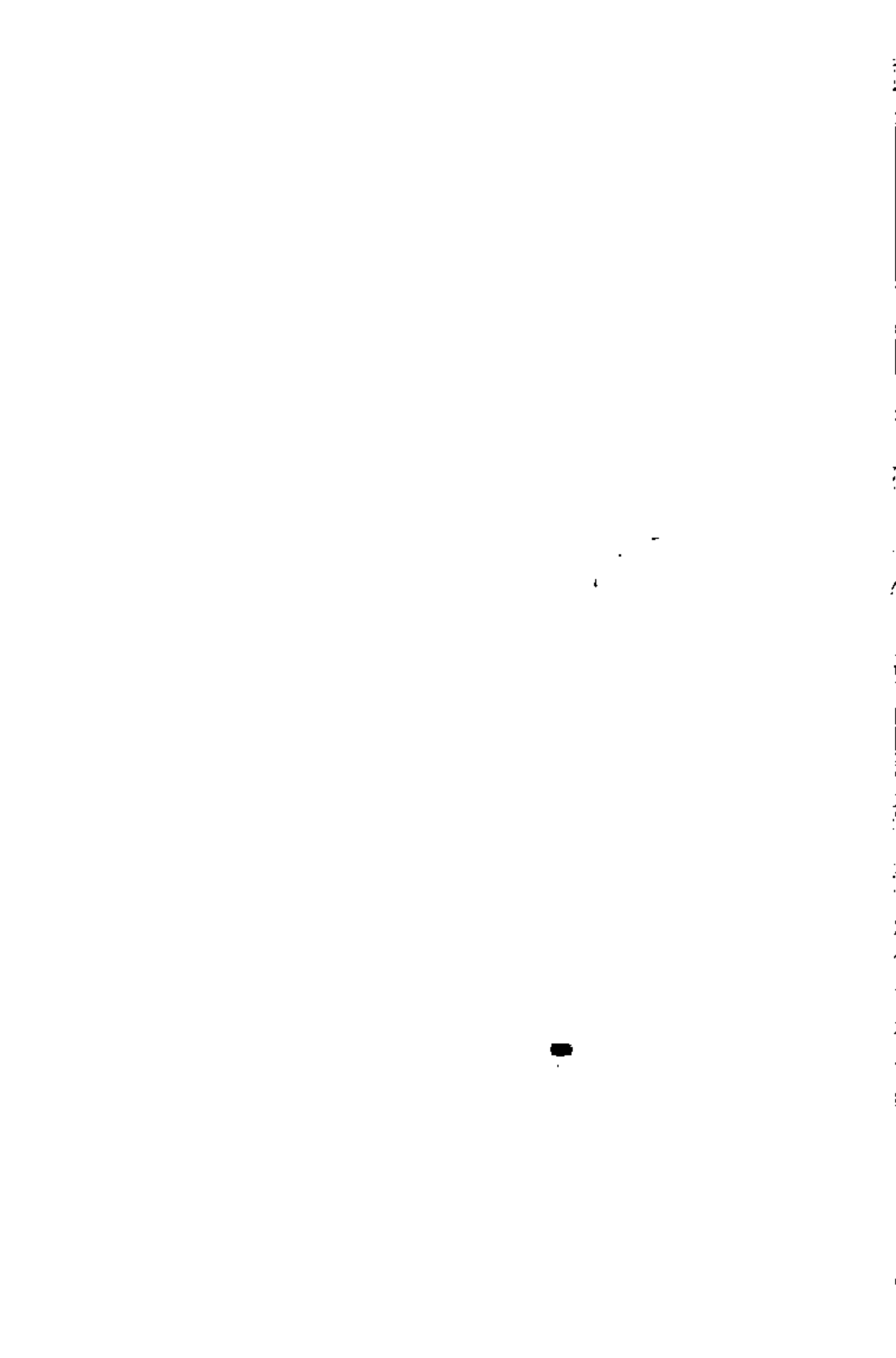
العادات المتغيرة فى السودان النهري (النيلي)

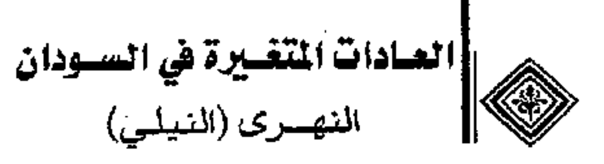
ترجمة

محمد عثمان مكى العجيل

الناشر
معهد البروفيسور عبدالله الطيب للغة العربية
جامعة الخرطوم

طباعة وتوزيع
دار المصورات للنشر




العادات المتغيرة في السودان
النهري (النيلي)

النـــاشـــر: معهد البروفيسور عبد الله الطيب للغة العربية
جامعـــة الخرطـــوم

■ منشـــورات المعهـــد

■ اسم الكتاب : العادات المتغيرة في السودان

■ المؤلــــــف : البروفيسور عبد الله الطيب

■ المترجـــــم : محمد عثمان مكي العجيل

■ المراجعـــة : البروفيسور سيد حامد حريز
البروفيسور محمد المهدي بشرى

■ الإشراف الفني : صلاح إبراهيم

■ إصدار رقم (3)

■ الطبعة الأولى : 2012

■ رقم الإيداع : 2012/14903

■ الطباعة والتوزيع : دار المصورات للنشر
الخرطوم غرب - شرق مركز الفيحاء التجارى
ت: 0912294714
E-mail : banaga1985@yahoo.com



عبد الله الطيب

العادات المتغيرة في السودان النهري (النّيلي)

ترجمة محمد عثمان مكي العجيل



هذه مجموعة مقالات مترجمة من:

Sudan Notes and Records

الأعداد:

١. العدد ٣٦، ١٩٥٥، ص ١٤٦/ ١٥٨

٢. العدد ٣٧، ١٩٥٦، ص ٥٦/ ٦٨

٣. العدد ٤٥، ١٩٦٤، ص ١٢/ ٢٨

٤. العدد ٢، ١٩٩٨، ص ١٣/ ٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

د.الصديق عمر الصديق
مدير معهد البروفسير/ عبد الله الطيب بجامعة الخرطوم

غبرت زماناً أتأمل ما جاد به فكر العلامة/ عبد الله الطيب فى عمقة وسعته، وتعدد مناحيه، ثم في تشتت مظانه، وعسر مطلبه مجموعاً لا سيما ما حوته الدوريّات والمجلات من تراثه المقروء، فيتمثل لى عجزالقادرين على التمام أعني عجزنا نحنُ الباحثين عن خدمة تراث العلامة بجمع شتاته، وترجمة ما كُتب منه بالإنجليزية إلى العربيّة.

وقد آلينا على أنفسنا فى معهد العلاّمة بجامعة الخرطوم أن نبري لهذا الجُهد غير عابئين بالحُزُونة والسُّهولة ممّا قد يعترضُ سبيلنا، ويعوّق مسيرتنا وما أكثر المثبط، والمخذّل والمعّوق من الأشياء والنّاس:

عَجبتُ لمن له حَدٌّ وقدّ ... وينبو نبوة القَضِم الكَهَامِ
ومن يجدُ الطريقَ إلى المعالى ... فلا يذرُ المطيّ بلا سنامِ

هذا وقد صَحّ عزمُنا أن نبدأ بإخراج ترجمة للمقالات التى كان العلامة كتبها فى مجلّة: (Sudan Notes and Records).

لما رأينا من أهميتها، ومكانها في دَرسِ (الشعبيّات السودانية) وهى من المعارف الجليلة التى استأثرت بقدرٍ وافرٍ من بحث العلاّمة، فقد صنّف من قبل : (الأحاجي السّودانية) بالعربيّة ثمّ ما لبث لأن ترجمها إلى الانجليزية بقلمه، وفى كتبه موسوعيّة الطابع كالتماسة عزاء بين الشعراء، وبين النيّر والنور، ومن نافذة القطار معارف واسعة تمتحُ من بئر الشعبيّات، هكذا عدا ما كتبه من بُحوثٍ موصولة بالعامية السّودانية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وما تناثر من اهتمامه هذا فى المقالات الكثيرة بالمجلات والمحاضرات.

ولعلّه ممّا شجّع على إخراج هذا العمل استعداد الترجمان الحاذق الأستاذ/ محمد عثمان مكى للترجمة، وقبول الأستاذ الكبير العالم الجليل البروفسير/ سيد حامد حريز أمر المراجعة، وكذلك البروفسير النابه/محمد المهدى بشرى، فالشكر لهم جميعاً، والشكر موصول للفنان/ صلاح إبراهيم الذى نهض بإخراج الكتاب، والأخت / خيرية حسن مصطفى والأخ/ ناصر شمس الدين اللذين نهضا بتصويب الترجمة العربية حاسوبياً.

تمهيد[1]

حتى لحظة كتابتي هذه المقالات، يلاحظ الكثير منا ملامح التغير السريع الذي تحولت بفضله الحياة السودانية من مجتمع العصر الوسيط، الذي تتعمق فيه التقاليد الراسخة، إلى أمة أفريقية/ عربية حديثة متأثرة بالحضارة الغربية. لقد اختفت تماماً العديد من أنماط الحياة وصيغها - التي عهدتها في صباي - كما إن العديد من الأنماط الأخرى في سبيله إلى الزوال. أما باقي العادات - والتي هي في الواقع قليلة جداً - مازالت تسود القرى النائية والبيئات التقليدية. هذه ظاهرة جديرة باهتمام طلاب وعلماء علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا والتاريخ، علهم يقومون بتوثيق هذه العادات قبل أن تزول تماماً وتضيع العديد من أنماط الحياة القديمة وتطويها أساليب الحياة الحديثة وسلوكياتها.

من الميلاد وحتى سن البلوغ
الميلاد والطفولة المبكرة

«المشاهرة»

هذه الكلمة مأخوذة من كلمة (شهر؛ أي الشهر القمري)، وهي عبارة عن عملية تتعرض لها المرأة الحبلى، بحيث تُودي بها إلى الإصابة ببعض الأمراض غير المتوقعة التي قد يكون من نتائجها مضاعفات أو تعثر في عملية الوضوع، إذا لم تتم معالجة الأمر ودرء مخاطر هذه «المشاهرة».

قد تصاب المرأة بالمشاهرة إذا شاهدت جثماناً، أو مرت في طريقها بجنازة، أو حتى إذا زارها شخصٌ كان يسير في جنازة أو شاهد شخصاً ميتاً. وعليه تحتم على أي شخص سار في جنازة أو شاهد شخصاً ميتاً، وأراد زيارة امرأة حبلى أن يقوم بتطهير نفسه من روح الميت قبل هذه الزيارة. ويتم هذا إما عن طريق النظر في أعماق بئر أو القيام بزيارة أناس آخرين لم يشاهدوا جنازة ولا شخصاً ميتاً.

إذا لم يفعل ذلك وذهب مباشرة لزيارة المرأة الحبلى ستصاب

تلك المرأة بالمشاهرة. لعلاج هذه الحالة يجب البحث عن عظام لحمار يكون قد مات على الأقل قبل عام. يتم لف هذه العظام في خرقٍ يجعلها تشبه الجنازة. ثم يتم استدعاء نساء الجيران حيث يقمن بالبكاء والنواح على هذه العظام الملفوفة وكأنها جنازة لقريب لهن. على أن يتم ذلك بجدية وحماسة وأن يولولن ويصرخن:

يا ود أم كيشونة

نحن نبكي عليك

بعد ذلك يتم دفن هذه العظام في احتفال جنائزي في «الحوش» المنزل. ويرش الماء على هذه الجنازة الوهمية.

وهنالك سبب آخر للمشاهرة، وهو الذهب. إذا كانت إحدى الزائرات تتزين بالذهب، يجب فوراً القيام بعملية التطهير من هذا الذهب. يتم هنا تزيين المرأة الحامل نفسها بالذهب. ويوضع تحت سريرها تمر وقمح. إذا لم يتوافر وجود عقد أو سوار من الذهب، يتم إلباس الحامل بشلن إنجليزي ليحل محل الذهب. وذلك لأن الشلن – في ما يبدو – يشبه في تصميمه الحلي الذهبيّة.

في المديريات الشمالية حيث يسكن الجعليون والرباطاب والشايقية توجد تحت سرير المرأة الحامل حفرة دائمة تكون مملؤة بالقمح والتمر درءا للمشاهرة.

تابو إراقة الدم

لحماية زوجته الحامل؛ على الزوج ألا يُريق دماً، وألا يقتل أي حيوان بيديه، حتى في عيد الأضحى [٢]. لأنه إذا فعل ذلك ستعاني زوجته الحامل وقد تفقد حياتها، أو قد يولد الطفل ناقصاً أو مشوهاً.

تعويذة الفكي

يلجأ الزوج إلى نصيحة الفكي (رجل الدين المحلي)، ويعطيه مبلغاً من المال ويسمَّى «البَيَاض» مقابل تعويذة يستلمها من الفكي.

هنالك ثلاثة أنواع من التعاويذ والتمائم:

١ / «البَخْرَة» والتي هي قطعة ورقية تحتوي على صياغات وكتابات تنجيمية، يجب حرقها ثم استنشاقها بعد ذلك.

٢ / «الحِجَاب» وهو أيضاً عبارة عن صياغات تنجيمية تكتب على ورقة يتم لَفها وتغطيتها بالجلد بتصميم معين حسب مهارة من يقوم بذلك.

يجب أن يكون ورق «البَخْرَ ة» و«الحِجَاب» من نوع خاص يسمى «أبو شُبَّاك»، والاسم مستمد من علامته المائية والتي تشبه النافذة. ورق «أبو شباك» كان يتم تصنيعه في أوروبا في القرون الوسطى تقليداً للورق الذي كان المسلمون يصنعونه لأسباب دينية. لا يزال هذا الورق موجوداً ويستعمله العديد من الشيوخ الدينيين، بدون أن يعلموا أن صانعه غير مسلم[٣].

٣/ النوع الثالث هو «المِحَايَة»، وهي آيات قرآنية تُكتب بقلم البوص، والذي يتم غمسه في حبر مصنوع من الرماد المخلوط بالماء والصمغ العربي. تتم الكتابة على لوح خشبي ثم تغسل هذه الآيات بالماء وتوضع في أوعية.

على المرأة الحامل أن تشرب هذا الماء المقدس، والذي من المفترض أن يحميها من كل شرور الحمل والولادة. في عصرنا هذا تكتب

« المحاية » على أواني نظيفة من الصيني ويستخدم العسل بديلاً للحبر الأسود.

« البخرة »، « الحجاب» «والمحاية » التي يكتبها أي شيخ ديني غير الفكي الرسمي للقرية، ليست لها نفس الفعالية. الفكي الرسمي يملك كتابة هذه الصياغات التنجيمية لأنه ورثها عن أبيه، والذي بدوره ورثها عن أبيه. وكتابته هي الوحيدة التي تملك قيمة حقيقية يستحق عليها « البياض » و« البياض » شرط ضروري لفعالية « التميمة ». المعنى الحرفي لكلمة «البياض » هو اللون الأبيض، سمي هكذا لتأكيد أن دفعه قد تم بإرادة حرة وبإيمان عميق بقدرات الفكي. وهذا يعني أنَّ قلب من يدفع يكون نظيفاً « أبيض، يخلو من أي نوع من الشكوك.

سحر عجائز النساء

تقوم المرأة العجوز – والدة المرأة الحامل – بإمدادها بكل أنواع المواد السحرية، لحمايتها من كل خبائث السحر وسوء الطالع. كان الجعران يعتبر حامياً قوياً ضد السحر. وهناك شئ آخر هو حجر الدم[4]، وهو حجر مستدير صغير في لون الكهرمان. لا يزال هذا الحجر مستخدماً في المدن، ويقال إنْ له القدرة على إيقاف النزيف. الشهر السابع هو فرصة لطقس يسمى الجرتق – أصل هذه الكلمة غريب، يبدو أنه مستمد من الكلمة درداق (الشباب أو الصغير من البشر أو الحيوان).

لا يزال « الجرتق [5] » يستخدم في الأعراس والختان والنفاس.

تقوم المرأة الحامل بالجلوس على « عنقريب » مفروش بـ برش ارتبط استخدامه بالطقوس والمناسبات، مصنوع من ورق شجر الدوم ومزين بالألوان. ويكون شعرها مجدولاً في ضفائر تقليدية، ويتوج رأسها إكليل من مسحوق الصندل [٦]، ويحيط بأطراف هذا الإكليل قماش من الحرير وخرزة (تركوازية) على ضفائرها وفوق الجبهة. شعرها يمتلئ بالأصداف التي تسمى « الرخيمي »، وتزين الحواجب والعيون بالكحل الأسود. ويمسح جسدها بعجين خبز مخلوط بالزيت ويسمى « الدلكة » (وتعني حرفياً التدليك – المسَاج)، ثم تلبس عقداً مهماً في هذه المناسبة وغيرها تسمى « فرج الله ». ثم تربط خيوط حريرية حمراء حول اليد اليمنى، تزدحم هذه الخيوط بالصدف الواقي من السحر. مع كل ذلك تربط بهذه الخيوط سلسلة فقرية لسمكة نيلية أو بحرية كبيرة ومعها ريش النعام. تعتبر كل هذه المجموعة ذات أهمية خاصة. وأخيراً توضع بالقرب من « العنقريب » دمي صغيرة ذات أشكال منفرة تشبه تلك الدُمى التي توجد بالقرب من مقابر قدماء المصريين والنوبة. الهدف هو الحماية من العين الشريرة، وتظل موجودة حتى نهاية الحجر. يجب أن نلاحظ أن عادة الاحتفاظ بالدّمى هذه لا يمارسها الجعليون من فرع العمراب ولا أقرباؤهم من بربر ولا الرباطاب. قد يكون هذا ناتجاً من تأثير الخلاوي القرآنية التي شيدها المجاذيب الغبش والعمراب.

هناك طقوس « جرتق » أخرى نجدها في منطقة سنار وسنجة تتمحور حول « أكل العصيدة ». يتم ملء قدح كبير بالعصيدة والسمن البلدي الصافي. تقوم المرأة الحامل بأكل العصيدة ويشاركها في ذلك

النسوة الحاضرات. تأخذ النسوة لقمة كبيرة من العصيدة ويقمن بمسحها في بطن الحامل قبل الأكل[٧]. يمكننا تخيل أي طعام آخر غير العصيدة والسمن، ولكن تظل العصيدة هي أنظف الوجبات.

تظل الحامل محتفظة بكل أدوات الجرتق لمدة أسبوع كامل ثم بعد ذلك يطلق سراحها ثم تقوم بواجباتها المنزلية العادية. ولكن يتوجب عليها المحافظة على كل أنواع الجرتق، وإلا أصيبت المشاهرة.

عملية الوضوع

في حالة اقتراب الوضوع يذهب الزوج لاحضار القابلة (داية القرية) أو يذهب بدلاً عنه أحد أقربائه الرجال. لن تستجيب الداية إذا ذهبت إليها امرأة، بل وتعتبر ذلك إهانة. يكون منزل المرأة الحامل مأهولاً بالنساء. عند وصولها تطلب القابلة فرعاً من «شجرة الخلاص»[٨] يوضع هذا الفرع في الماء، إذا انتفخ وتوهج بالألوان فسيعني هذا انَّ عملية الوضوع ستكون سهلةوإذا لم يحدث ذلك، فهذا إنذار بتعثر عملية الوضوع. هنا تعمل القابلة باستمرار على إغراق هذا الفرع عدة مرات حتى يحدث هذا الانتفاخ والتوهج أو على الأقل تبدو مظاهر هذه العملية واضحة.

ثم تأمر القابلة النساء بربط حبل قوي على أحد الأعمدة الأفقية القريبة من الدعامة الرئيسية للسقف «الشّعبة» [٩] في الغالب تقوم بهذه العملية النساء الأكبر سناً أو الأكثر تجربة وغالباً ما يحدث هذا الأمر قبل وصول القابلة وهنا تنظر القابلة بغضب نحو الحبل والى تلك المرأة التي يفترض بأنها قامت بهذا الأمر، إذ إنها لم تنتظر

تعليماتها، ثم تقوم بانتقاد مكان وضع الحبل أو خطأ إحكام العقدة أنها ببساطة تعلن أنَّ الحبل ضعيف أو متراخ . بعد مناقشات حامية تتبعها بعض التعديلات تقتنع القابلة بالأمر، ثم تقوم بعد ذلك بفحص المرأة الحامل وتعلن أنَّ الأمر لا يزال مبكراً لعملية الوضوع. ثم ترمي بنفسها في سرير أعد لها خصيصاً، متظاهرة بالنعاس أو الرغبة في النوم.

تظل النساء منتظرات في صمت يخترقه أنين وصرخات المرأة الحبلى. ثم تعلن إحدى النساء الكبيرات في السن (عمة أو خالة المرأة الحامل) وهي تلف السبحة في رسغها بأنه: « علينا الصلاة والسلام على النبي والصالحين ». ثم تبدأ النسوة بإنشاد الأغنية التالية:

يا حلال الحاملا
من غلاماً جاهلا
البجيب الضيق
هو البجيب الفرج
جبريل ناجى ربه وجا
وجاب الفرج (الأمل) من السما
يحلها الما بدور جزا
يا حلال حلها
يا بلال بلها
العقد الأمور هو بحلها

القابلة تمارس عملها

تدوي صرخة أثناء هذا الغناء، لتعلن اقتراب لحظة الوضوع. تهب القابلة من نومها المفتعل وتبدأ في إصدار الأوامر.

يتم الحديث عن معجزات القابلات وكيف أنهن يعرفن صرخة الحامل المحددة التي تعلن عن خروج الطفل. استمعت في صباي إلى قابلة كانت تفاخر بانها تستطيع النوم لعدة ساعات وأحياناً الليل بكامله، ثم تستمع في منامها إلى صوت يأمرها بالاستيقاظ لأنَّ الطفل قادم في الطريق.

تقوم النسوة بحفر حفرة في الاتجاه المضاد للحبل، إذا كان هذا الأمر لم يتم سلفاً. مهمة هذه الحفرة احتواء الدماء التي تنزف من المرأة أثناء الوضوع. تزال فيما بعد تلك الدماء وترمى في الحوش باعتبارها قاذورات. النساء الكبار سيساعدن الأم على الوقوف بالقرب من «الشعبة » وهي تتشبث بالحبل بكلتا يديها. ثم تقبض القابلة على خصر الأم وتحدث بالموسى في الجزء المختون من جهاز المرأة التناسلي لإيجاد طريق يسمح للطفل بالمرور. وقد اخبرني أحد المساعدين الطبيين من ذوي الخبرة بان الأم لا تشعر بالألم من الشرط بالموسى إذ إنَّ آلام الولادة نفسها أصعب من أي ألم آخر.

من المستحسن أن تصرخ الأم وتئن بأصوات معروفة، بدلاً من أن تتحلى بالصمت والصبر. لأن التحلي بالصبر يضعها تحت رحمة العين الشريرة. بعض النساء لا يستمعن لهذه النصائح، ولذلك إذا حدثت لهن مصائب في المستقبل فسيعزى ذلك للشجاعة غير المستحبة إثناء الوضوع.

تبدأ النسوة أثناء صراخ الحامل في إطلاق النداءات ودعوة الأولياء:

يا الله القوي هوي
يا الرسول أبو البتول
يا الشيخ المجذوب
يا سيدي الحسن
نقر الشول الخاتي القول
يا الأوليا والأنبيا
هوي يا رجال آب حراز

بعضهن يطلقن عبارات تنم عن الخوف والقلق:

يا ساتر
ويا رحمن

بعض النساء يكتفين بمجرد الانضمام إلى جوقة الأصوات يستمر هذا الضجيج حتى ميلاد الطفل، وإلى أن يتم الخلاص من المشيمة بأمان، ويعتبر أي تأخير في التخلص من المشيمة أمراً يدعو للقلق وينعكس في الصمت وللتوتر الذي يؤثر بدوره على أداء الطقوس.

في الظروف العادية تعلن القابلة عن جنس الطفل فور خروجه إذا كان الطفل ولداً فستضج النسوة بالزغاريد. البنت أيضا يتم استقباالجرح،زغاريد ولكنها زغاريد خافتة وضعيفة. عندما تنتهي عملية الولادة بسلام، يتم إرقاد الأم على عنقريب أو برش. ثم تقوم القابلة بخياطة الجرح الذي أحدثته بإبر وخيوط حريرية وأشواك من شجر الطلح. تضع الأشواك في مكامن الجرح، ويخاط الجرح حتى

تتقارب أطرافه، وتستعيد المرأة الضيق في جهازها التناسلي والذي كان قد تم بعملية الختان.

الحبل السُّري (التبيعة)

يتم دفن الحبل السري للولد قريبا من منطقة الأسرة؛ غالبا في أقرب مكان من المنزل دون أي غناء أو طقوس خاصة. أما الحبل السري للبنت فيدفن وسط الضحكات، بأمل أن تكون الطفلة امرأة جذابة في المستقبل. يعتبر دفن الحبل السري رمزا للحماية يشير الدفن عادةً إلى تفادي احتمال إضرار الطفل من خلال العبث بحبله السري.

هناك طريقة أخرى منتشرة جدا، ولا زالت تمارس في امدرمان، وهي رمي الحبل السري في النيل، وبهذا يتم إبعاده نهائيا من عبث الأشرار. في بعض مناطق البحر الأحمر يتم رمي الحبل السري تحت شجرة [١٠] ويظل هناك حتى يجف ويندثر أو أن تلتهمه العقبان. هنا يرمز هذا الأمر للرفض إذ يعتبر الحبل السري شراً يجب الخلاص منه نهائيا.

ولكن يتم تداول بعض الحكايات (حسب معرفتي) حول استخدام الحبل السري في السحر الأبيض أو الأسود (مثل أمعاء البحار المشار إليها في «ماكبث»).

إذا كان الطفل المولود مشوها بشكل فظيع ترفض الأم إرضاعه (وهذه هي الوسيلة الوحيدة لإطعامه) وبهذا يموت الطفل. إذا كان المولود ببشرة يشوبها البياض غير الطبيعي (ود الحور) تتم معاملته

بنفس الطريقة وإذا وضعت المرأة توأمين وكان أحدهما ضعيفا بصورة بائنة، فإن القابلة تنصح الأم بالاكتفاء بالقوي. ورغم ذلك يعيش بعض الأطفال المشوهين إذ كثيرا ما تتجاهل الأم نصيحة القابلة وتقوم بإرضاع الطفل الضعيف أو المريض.

الجرتق الثاني

بعد أن تنتهي القابلة من عملها، يتم تنظيف المنزل وتهيئته لاستقبال الضيوف من الجنسين. حالة الولادة العادية لا يحضرها أي رجل – حتى الزوج نفسه -. ويطلق على الأم الجديدة اسم «النَّفَسَا» ويتم تزيين الطفل بطقوس معينة تسمى « جرتق النفاس.

يتم تكرار نفس طقوس الجرتق السابقة، مع إضافة شيئين: الأول هو « الكجرة « [١١] والثاني هو « الجرتق «.

«الكجرة « عبارة عن هودج من بروش مصنوعة من ورق شجر الدوم الملون تحيط بالسرير وتعتمد على إطار مصنوع من فروع شجر النخيل.

توضع أقواس هذه الفروع على كل من جانبي العنقريب. ثم يتم فرش قطعة من القماش الهندي الثمين يسمى « السراتي « على طول أرضية الكجرة – إذا كانت تلك القطعة متاحة -. في أيامنا هذه يتم استخدام ستارة من السراتي (في الغالب مستورد من البلدان الأوروبية)، لتحل محل الكجرة القديمة في أمدرمان والمدن الأخرى.

ترقد النفساء داخل الكجرة وتُغطّى بكل أدوات الجرتق المتوافرة، يميل سكان امدرمان لجعل النفساء تبدو تماما كالعروس

الجديدة؛ يتم تزيين شعرها مثل العروس وتلبس كل ما تملك من ذهب وتلبس « القرمصيص» [١٢] الغالي وتبدو كأنها في ليلة عرسها.

الطفل

يلقى الطفل في السرير عاريا على الأسمال. لا تقم الأم ولا قريباتها بتحضير أي ملابس قبل الوضوع. بل ولا تجهز له أي ملابس قبل أن يتعود على السير والجري داخل المنزل. يبدو أنَّ هناك اعتقاداً بأن عُري الطفل يعمل على حمايته من العين الشريرة.

بعد وضع الطفل على الأسمال، تبدأ النسوة برسم علامة الصليب باستخدام الكحل على جبهته وخدوده. هناك اعتقاد بأن المسيحين لا تصيبهم العين الشريرة[١٣] ولذلك فإن رسم الصليب يحمي الطفل – على الرغم من أنه مسلم – من العين الشريرة. في منطقة حلفا لا تزال علامة الصليب ترسم على جبهة الطفل ورسغه – وهذا أثر من آثار المسيحيين.

تربط بطن الطفل بخيطوهذا أمر سيساعده في المستقبل وإلا سيتفخ بطنه، وهذا الأمر سيؤثر كثيرا على نموهوقد يحتوي هذا الخيط على خرز أو قد لا يحتوي. وتُكحّل عينا الطفل، ويمسح رأسه بدهن الصندل. وهكذا ينتهي الجرتق.

الكرامة

على الزوج إحضار خروف أو تيس لذبحه مباشرة بعد الجرتق. وهذا بمثابة شكر لله.وما زالت عادة الذبح هذه تمارس ويطلق عليها

«حُلّالة»[١٤].

بعض الآباء يقوم بإعداد كمية كبيرة من اللحم والشراب، خصوصا إذا كان اليوم هو جمعة أو صادف عطلة ما. تعطى القابلة كمية كبيرة من اللحم (غالبا ربع الكمية) مع بعض من التمر والقمح وبعض الدهون أجراً لها. وتصر قابلات هذه الأيام على الأجر النقدي والسجائر مع العطايا التقليدية.

تربط العظام المتبقية من «الحلالة» في الزوايا العليا من الكجرة ثم تعلق حزمة تحتوي على بعضها على السقف. وهذا إثبات أن الحلالة قد تمت بالفعل، وهو أمر كفيل بطرد روح الشر وحماية المولود الجديد.

من المحتمل أن تكون هذه العادة امتداداً لممارسة وثنية كانت تتم في الزمان القديم، حيث كانت الآلهة لا تلاحظ القرابين التي تقدم لها، ولذلك يجب تذكيرها بأدلة وبراهين ثابتة.

الزيارات الطقسية

يتم سيل من الزيارات بعد إكمال الجرتق يقوم الزوار بتحية النفساء وزوجها بالقول:

حمداً لله على السلامة

و

إن شا الله مبارك

ويتوقع من أي امرأة تقترب من الطفل لتنظر إليه، أن تقول:

صلاة النبي

والرجل يقول:

ما شاء الله

المسلم العادي – طبقا للتقاليد – يمتلك عيناً شريرةً. بمعنى آخر يمتلك القدرة على إصابة الآخرين بالأذى من خلال النظر لهم بإعجاب. وهناك عدة تعابير للحماية من أذى العين ؛ مثل: « ما شاء الله » و« عجب عيني » تستخدم النسوة – في العادة – هاتين الجملتين-.

غير المؤمنين – المسيحيون مثلا – يمتلكون أيضا عينا شريرة ولكن بطاقة أكبر. عندما يعجبون بأي شيء متعلق بالمسلم عليهم القول « ما شاء الله » أو « صلاة النبي » هذا يكفي لصد العين. إذا تغافلوا عن هذا القول يقوم جميع الحاضرين بتذكيرهم.

هناك آخرون تمتلك أعينهم الشريرة قدرة من أن تصدها مجرد « ما شاء الله » و« صلاة النبي » في كل قرية أو مدينة يوجد واحد أو اثنان من أصحاب هذه العيون الخطرة. وهذه الجماعة غالبا ما تتكون من النيجيريين، أصحاب العيون الحولاء والعور أو الرجال والنساء من ذوي الأشكال المنفرة. المرأة ذات العين الشريرة تسمى « سحّارة » أي ساحرة والرجل يسمى « سحّار » أي ساحر [١٥].

عندما يدخل السحار المنزل ويقوم بتحية النفساء وينظر للطفل، يسود جو من الوجوم. على النفساء أن تقول بصوت عالٍ :

دا قر عيني

دا قر عيني

عين الحسود فيها عود

هذه الكلمات تقوم بإبطال مفعول العين الشريرة ولكن النفساء

وأهلها لا يقتنعون بهذا الأمر حتى يؤكد إبطال مفعول السحر يجب ترديد الكلام مرة أخرى «

دا قر العين

عين المحسود فيها عود

وتعمل النسوة الحاضرات على تأكيد هذا الأمر بقولهن «:

قل هو الله أحد

يا النقر[١٦] يا عدار البقر

يا النبي نوح ياقاري اللوح

صبحنا ومسانا سيدنا الخضر

وتقوم أم النفساء أو إحدى قريباتها من كبار السن بمقابلة هذا الشخص بصورة غير ودية: مثلاً أن تمد يدها للتحية وهي جالسة، أو أن تمد يداً متراخية وتلوي بعنقها في الاتجاه المضاد له لحصار تأثير السحر. سيعمل هذا على إغاظة الساحر وتكون هذه الإغاظة هي بالضبط المفعول الذي يبطل السحر.

عندما يدخل الساحر المنزل يقول:

ما شاء الله

وبصوت عالٍ ومتحدٍ يتمتم الحضور:

الله أكبر

يا النقر

عين المحسود فيها عود

وتقوم أم النفساء برد تحية الساحر بصورة وقحة، بأن تهز يده بدلا من أن تقبلها - وهذه هي الطريقة المؤدبة لتحية الرجال - سيعمل

هذا على إثارته وسيصرخ غاضبا في النسوة وسيوبخهن على سوء الأدب هذا الانفعال الناتج من العمل على استرداد الكرامة، سيعمل على إبطال الرسالة السحرية القادمة من العين الشريرة.

بعد مغادرة الساحر يتم حرق اللبان والخريج في « مبخر » لطرد الروح الشريرة ويجمع تراب الأرض التي سار فيها ليتم حرقه أيضا، هذه الرقية تتم وسط همهمات لا عنة للساحر. إذا مرض الطفل بعد ذلك (النقل بعد أسبوع أو أسبوعين)، سيكون السبب هو عين الحسود. يغطى الطفل بملاءة ويتم تبخيره. استنشاق هذا البخور سيعمل على شفاء الطفل، ويرسم الصليب على جبهة الطفل يعني كل هذا بأن سحر الساحر قد سرى في جسد الطفل. وكل هذه الأفعال هي لطرد هذا السحر. شكل البخور بعد حرقه يشبه شكل الساحر وتقال هذه التعويذة بعد حرق البخور:

يا عين يا عينية
يا كافرة يا نصرانية
دبيتك بيدي دي
دبيت فاطنة بت النبي مو دبية عربية
الما العكر والفلفل الضكر
في عين ما فكر
كان انتاية كان ضكر [١٢]
النبي نحر ناقته
وانفلت علاقته
سار لحق جماعته

عين الضيف أحد من السيف – عين المزاح أحد من السلاح
عين الحسود فيها عود – عين العلاني شرا داني
عين الوالد سيف قارض – عين العجوز فيها طابوق
عين العروس تقد التروس – عين الفتاة فيها واطة
عين الراجل فيها مناجل – عين المشرط فيها حشرط
طارت ما احتارت ووقعت وما انفقعت والسماء ذات البروج»[١٨]،

يتم هذا الدعاء في كل أنحاء السودان، مع تعديلات يسيرة.

وهنا قد يطرح سؤال: لماذا يقوم هؤلاء السحرة بزيارة النفساء، وهم يعلمون بأنه غير مرغوب فيهم؟ الإجابة هي: أولاً ؛ الرغبة العارمة في سحر الآخرين، هي التي تدفعهم لرؤية المولود الجديد. ثانياً ؛ لأنهم ليسوا معدودين بصورة رسمية سحـرةً لذلك فإنهم يلبون الواجب الاجتماعي في زيارة النفساء كغيرهم من الناس. خصوصا وأن الأم والأب يقومون – من باب النفاق الاجتماعي – بإلقاء اللوم على كل من لم يحضر لتهنئتهم، بما فيهم هؤلاء السحرة غير المعترف بهم رسميا كسحرة،على الرغم من أنهم سيكونون سعداء بعدم حضور هؤلاء السحرة.

غذاء النفساء

فور نهاية طقوس الجرتق، تقوم الأسرة بإعداد وجبة خاصة للأم تتكون من التمر الجاف بعد سحقه وغليه حتى يصير كثيفا ويضاف إليه السمن البلدي. هذه وجبة لذيذة وغالباً ما تقدم أيضاً لأطفال

البيت وحتى الكبار يحبونها وقد اختفت هذه الوجبة في أم درمان، ولكن طبخها لا يزال يتم في القرى.

التمويذة

يطلب من الفكي « حجاب « صغير للطفل»، سمى « الحفيظة «، أي الحافظة والحامية. تكتب الحافظة على ورق « أبو شباك «، يكون الحجاب في شكل مستطيل ويغطى بالجلد. ثم يعلق على رقبة الطفل ويتدلى على الصدر حتى يصل البطن. إذا لم يتم هذا الأمر فيسمع الفكي عدة احتجاجات أكثر من ينتقده هو زوجته وحواريه من النساء.

أحيانا تقوم الأسرة بتأخير الحجاب حتى يصل الطفل إلى مرحلة يتمكن فيها من الليس لأول مرة. وتُعـدُّ هذه وسيلة لخداع الفكي. يقول الفكي بأن الكفل يحتاج إلى تميمتين «حفيظة» و«حجاب الفكي»: ويدور هذا الحوار بين الأب والفكي:

الأب: هل يمكنك عمل « حجاب « أكبر بحيث نستغني عن الحفيظة يا سيدي؟

الفكي: هل أنت منافق؟ هل أنت كافر؟ هل تشك في آيات الله؟

الأب: لا يا سيدي..... آيات الله تحيي الموتى.

الفكي: إيمانكم هذا أيها الناس يخالجه الشك.

الأب: بالطبع يا سيدي، أنتم أولياء الله تجعلون من الصعب أمراً سهلا. اجعله كبيرا، ولن أنقص منك « البياض «.

الفكي: عليكم اللعنة يا منافقين.

ثم يقوم الفكي بعد ذلك بعمل تميمة كبيرة، تغطى بالجلد في شكل مخروطي، ويهمهم قائلاً بأن الطفل قد تم خداعه في مسألة الحفيظة.

طقوس السماية

هذا طقس إسلامي، لا يزال يتم بدون تغيير. يتم هذا في اليوم السابع بعد الميلاد ولكنه في كسلا يؤخرونه حتى اليوم الرابع عشر. تتم في العادة استشارة الأقرباء حول اسم الطفل. هنا تسود مناقشات واختلافات حول هذا الموضوع يتظاهر الأب – إذا كان المولود ولداً – بأنه يريد أن يسميه على اسم أبيه. غالبا ما يسود رأي الأب – ولكن أقـــربــاء الأم يــحـتـــجون ، وإذا كانت شخصية الأم قوية فهي التي تختار اسم الطفل. في حالة أن الطفل قد ولد بعد وفاة أخ سابق في سن صغيرة يسمى حين إذ « عوض » (أي عوضاً عن أخيه المتوفي. وإذا كانت المولودة بنتا بعد طفل مُتوفى تسمى عطية [١٩]. أما إذا كان والد الطفل قد توفي في فترة وجيزة قبل الولادة يسمى الطفل على اسم أبيه يعلن الاسم في احتفال رسمي هو « السماية ». في السماية يُـذبَـح تيـــس (ذكر الماعز). إذا كان المولود ذكراً. الخ. ذبح ماعز أو أي خروف مسن عند سماية البنت تتم دعوة كل أهل القرية وتعاس « الكسرة » بكميات كبيرة وتتم دعوة الدراويش للقيام بالأذكار الدينية طوال الليل يقوم الآن أفندية المدن فقط بذبح خروف ودعوة الأهل والأصدقاء المقربين.

أسماء الأولاد الذكور غالبا مما تتركز حول الاسم « محمد واشتقاقاته: حامد، محمود، أحمد – ثم تأتي الأسماء التي تلي « عبد

«: عبد الله، عبد الوهاب...... الخ. بعد ذلك أسماء الخلفاء الراشدين: أبوبكر، عمر، عثمان وعلي، ثم تأتي أسماء الأنبياء والصحابة: حسن وحسين، الطاهر، الطيب، قاسم.... الخ. ثم أسماء الأولياء والأبطال: خالد، أبو زيد، البدوي...... الخ

أما أسماء البنات فهي تنحصر حول أسرة النبي: خديجة، فاطمة، آمنة، رقية، عائشة.... الخ. ثم بعض الأسماء المألوفة مثل: حواء، بتول (العذراء)، مريم....الخ.

أما التّوائم فهم غالبا ما يسمون: حسن وحسين (إذا كانوا أولاداً) أو أم الحسن وأم الحسين (إذا كن بنات). هذه الأسماء منتشرة جداً وسط السودان. حسن وحسين هم أحفاد النبي (صلى الله عليه وسلم)

نجد عند الرباطاب مقرات وارتول أسماء متشابهة للتوأم مثل: ناصر ومنصور، الصافي وصفية بدلاً من حسن وحسين التقليديين أو المعتادين.

ختام حبس النفساء

مدة الحبس كانت (ولا تزال) أربعين يوما. الأسبوعان الأولان كافيان لتبرئة الجرح. ولكن السلوك الحميد يقتضي الانتظار حتى انقضاء الأربعين يوماً ولا تبارح النفساء محبسها حتى لعزاء الجيران والأقارب.

تسمى الأربعون يوما فترة « النوفايد « أي الخلاص من القاذورات. تقوم النفساء وبعض قريباتها بتحضير وجبة ثم يذهبن بها وبكل ملابس النفاس للنيل. هناك يتم غسل الملابس وتستحم الأم وابنها

وتترنم النسوة بأغانٍ تمجد النيل وسكانه غير المرئيين. وغالباً ما تكون الأغنية:

يالبحر الجاري
ويا بنات الحواري[20]

يتم أكل الطعام ويقذف بعضٌ منه في النيل مع بعض الدعوات تسمى عادة الذهاب للنيل هذه «الأربعين»، ويمارسها حتى سكان المدن. هذا الطقس هو امتداد لعادة فرعونية أو نوبية قديمة. نعلم جيدا بأن قدماء النوبة وقدماء المصريين كانوا يعبدون النيل ويقدمون له القرابين وعليه فهي تعتبر امتداداً لعادة التعميد النوبية.

يـــزارُ النـــيـــلُ غالباً قبل المغرب بقليل، ويبدو أن السبب هو برودة الجو في هذا الوقت ولكن هذا لا يمنعنا من ملاحظة العلاقة الوثيقة بين الدين والنيل.

بعد هذا الطقس لا تعد المرأة نفساء بل امرأة عادية تمارس حياتها اليومية.

الرضاعة والفطام

يتم إرضاع الطفل لمدة عامين قمريين ثم بعد ذلك يُفْطَــم. أحياناً تقوم الأم بمد الفترة، أملاً في تأخير الحمل الثاني. يقوم الفكي بزيارة الطفل ومباركته بقراءة آيات من القرآن الكريم والبصق على جبينه[21]. ويقوم الفكي أيضاً بمباركة الطعام الذي يفطم به الطفل، وهو إما عبارة عن عسل أو تمر.



يبدو أن أصل عادة ترك الشعر بدون حلاقة قد أتتنا من مرحلة سابقة للإسلام ونجد أمثلة لذلك في الشعر الجاهلي، حيث تتم السخرية من الذين يحتفظون بشعرهم الأصلي « العقيقة » [٢٦]. ونجد في السودان شيئاً مماثلاً:

الدلاهة أبو قنبور

أصبح « القنبور » دلالة على الطفولة والجهل. يقال إنّ دوت نواز ملك الشيبا، كان لديه قنبوران يتدليان من على رأسه كالطفل[٢٧]. ويبدو أن اليهود أيضاً كانت لهم عادة إهداء الشَّعر كما في قصة شمشون.

في أيامنا هذه لا تمارس عادة الثّـفل إلا في القرى، حيث كف الناس عن ممارستها في المدن الكبيرة مثل عطبرة ومدني.

الشَّعر

لشَعْر الطفل أهمية كبيرة. يوهب شَعر الوليد الذكر لولي من أولياء الله، يكون من عشيرة الأب. أما شَعر البنت فيوهب للولي من جانب عشيرة الأم ويسود اعتقاد بأن شعر الطفل هو ملك للولي

راعي الأسرة، ولذلك يجب إرجاع هذه الملكية لصاحبها في أقرب فرصة ممكنة[٢٢].

إذا كان ضريح الولي يقع في الضفة الأخرى من النهر، لا يمكن نقل الطفل قبل أن يبلغ الأشهر السبعة. هناك تابو يمنع عبور الطفل للنهر قبل بلوغه سن الأشهر السبعة وهذا أمر مترسب من الثقافة الفرعونية القديمة التي كانت تعبد النهر، وانتقلت هذه العبادة إلى كل السودانيين النيليين.

وإذا كان ضريح الولي بعيداً جداً - لنقُل بأن السفر إليه يستغرق يوماً كاملاً أو يومين على ظهر الحمار - فإن استرداد الشعر أي حلاقة شَعر الطفل يتم تأجيلها حتى ينمو الطفل ويستطيع احتمال هذه الرحلة الشاقة. وفي هذه الحالة لا يمكن - من ناحية عملية - أن يترك شعر الطفل ينمو بدون أي حلاقة. هنا تتم الحلاقة بشرط أن يترك شعر الطفل الأمامي بدون حلاقة. وأخيراً عندما يُنقَلُ الطفل للضريح، يُذبحُ حمل صغير تعويضاً عن الشَّعر الذي حُلِقَ قبل زيارة الضريح. من الطريفُ ملاحظة أن السكان الذين يعيشون قرب الضريح يكتفون بنقل بضع شعرات للضريح، ثم يتمون الحلاقة بعد رجوعهم للبيت. هنا لا تتم أي ذبيحة، يكفي مجرد قمح وتمر يتم تقديمهما هدية للضريح. « حارس الضريح »[٢٣]. هو الذي يتسلّم هذه الهدية.

لدى بعض العشائر أكثر من ولي راعٍ، يقدم إليه الشعر. مثلاً في الشرايك[٢٤]. يقدم شعر مقدمة الرأس لحمد الله وباقي الشعر لعجيل أبو سعيدة[٢٥]. في مثل هذه الحالة أو أي حالة مشابهة القيام

برحلتين. وإذا تم تأخير الزيارة حتى يبلغ الطفل الشهر السابع أو الثامن، سيتطلب الأمر تقديم ضحيتين وأولياء لشعر لا يحتملون أي إهمال. هناك قصص تروى عن النساء اللائي اضطررن للقيام برحلات بعيدة، لأن إهمالهن السابق في تقديم الشعر قد أدى إلى إصابتهن بأمراض تتطلب بدورها الشفاء.

وفي أحيان كثيرة عندما يمرض الطفل تقوم الأم بالابتهال إلى ولي كبير – غير الولي الراعي – وهنا يتم وعد الولي الكبير بإهداء جزء من الشعر. عندما يتم شفاء الطفل يحلق رأسه ويترك شعر في نصف الرأس يسمى « قنبور » لينمو حتى تتم الزيارة للولي وتقديم الشّعر لضريحه. وهنا تقدم في هذه المناسبة ضحية صغيرة – كبش أو تيس – مع بعض الهدايا الأخرى للحارس. في بعض الحالات يلجأ الوالدان إلى الابتهال إلى ولي بعيد جداً، بحثاً عن الشّفاء. وهنا يضطر الطفل إلى القيام برحلة شاقة حتى يحلق قنبوره هناك. وقد سمعنا عن رجال احتفظوا بقنابيرهم حتى بلغوا الثلاثين عاماً أو أكثر قبل أن يحلقوها عند هذا الولي البعيد.

أحيانا يحتفظ بعض الناس « بقنابيرهم » حتى دون أي نديهة لولي معين، وتتم حلاقتها بعد أن يصل الطفل سن البلوغ.

تغيير سن اللبن

عندما يفقد الطفل أسنان اللبن، يقوم بقذف السن المخلوعة في اتّجاه الشمس ومعه حبة قمح وقطعة من الفحم ويقول:

يا عين الشمس

شيلي سن الحمار

وأدي سن الغزال[28]

يبدو أن حبة القمح ترمز للسن البيضاء، وقطعة الفحم ترمز للسوس الذي يصيب السن.

الزينة في مراحلها الأولي

عند بلوغ الطفل (الولد) الشهر السابع، يتم إلباسه قرصا فضيا يتدلي من رقبته بسلسلة ويسمي «الحفيضة» والتي يفترض أن تحتوي علي قوة سحرية بفضل بعض السياقات التنجيمية المكتوبة فيها. يكف الطفل عن لبسها عند بلوغه حوالي خمس سنوات.

أحيانا عندما يكون الطفل مهددا بالموت نتيجةً لوفاة أخ له أو اخوين منذ فترة ليست طويلة (ربما يحدث ذلك نتيجة لأوبئة تكون قد اجتاحت البلد)، يوضع علي إحدى أذنيه حلق فضي أو حديدي، يبدو هذا وكأنه محاولة لجعل الولد شبيها بالبنت، بحيث ينخدع فيه ملك الموت.

الشلوخ

هناك نوعان من الشلوخ: ندوب علاجية وأخري للزينة. الأخيرة تسمي «نضارات» (حرفيا:عرافات) وهي عبارة عن ندوب صغيرة، الهدف منها تفادي العين الساحرة. والأخيرة تسمي(الشلوخ) وهي جمع الكلمة (شلخ)[29] والتي تعني «أصل». هنا يتم جرح الخدود بخطوط أفقية أو راسية في أنماط تقليدية ويبدو أنها علامات قبلية ولكنها اكتسبت أهميتها لقيمتها الجمالية بالنسبة للبنات. والبنات يطلبن الشلوخ علي الرغم من أنها مؤلمة وذلك بحثا عن الجمال.[30]

اللعب

بجانب الألعاب العامة المعروفة: «دسدوسية = عسكر وحرامية»، «مادوا = خمسة جاك»، «فضت = صيد الكشتبان». وبجانب الدُمى والعرائس (بت أم لعاب) - هناك ألعابَ أخري، جزء منها ظل باقياً وأخري اندثرت. يمكن تقسيم الألعاب إلي ألعاب الصبيان وألعاب البنات وتقسيم آخر إلي ألعاب نهارية وأخري ليلية.

ألعاب الأولاد النهارية

تأخذ في الغالب طابع التسلية بعضها يعتمد علي الحركة والنشاط. والبعض الأخر تكون ممارسته مؤلمة. الهدف منها غالبا-هو تهيئة الأولاد لحياة الرجولة الحقة حسب المفهوم السوداني. بعض العاب التسلية شبيه بالشطرنج ولعبة الحظ. من الألعاب الشطرنجية البسيطة «صفرجت». يلعبها ولدان فقط لكل منهما ثلاث قطع متساوية (في الغالب ثلاث بذرات تمر مقابل ثلاث أحجار صغيره من الحصى) وتسعة مربعات يتم حفرها في الرمال. الطفل الأول الذي ينجح في رصف قطعه الثلاث في الصفوف التي تلي الصف الأصلي الذي رصت فيه القطع في البداية.

«السيجة»

هي لعبة أكثر تقدما من «صفرجت» يلعبها أيضا طفلان. هناك ١٢ قطعة لدى كل لاعب (بعر الجمال ونوى التمر – علي سبيل المثال)، وهناك ٢٥ مربعاً. لكل القطع قيمة متساوية ويفقد اللاعب مكانه حينما تتم محاصرته بالقطع التي يملكها اثنان من خصومه. وتحتاج «السيجة» الي مهارات كبيرة وهي جذابة إلي الحد الذي يجعلها مفضلة لدي الرجال الناضجين.

«الفيل»

أسهل العاب الحظ هي لعبة «الفيل»، وهي أشبه بلعبة «السلم والثعبان» أو لعبة «اللودو» يتم حفر طريق دائري من المربعات في الرمال. آخر مربع هو المربع الداخلي حيث نهاية هذا الطريق. يتم بناء خمسة أو ستة مربعات بالقرب من هذا المربع الأخير. تقطع أربع عصي صغيرة من فروع شجرة النخيل، بحيث يُكْشَطْ ظهر هذه العصي لتلعب دور الزهر (الذي يلعب به في النرد) وتسمي «طاب» (جمع كلمة طابا أي فرع النخيل)[٣١].

العصي الأربع ذات الجوانب العليا الخضراء يتم حسبانها (٦) (تسمي «نوم»)، مع الجوانب البيضاء إلي أعلى وتحسب (٤) (تسمي اربش)[٣٢] ابيض، مع جانب واحد إلي أعلى يحسب (٣) (تسمي تالي-اختصار لكلمة ثلاثة)، مع جانبين خضر إلى أعلى تحسب (٢) (تسمي قرنين)، وواحد أبيض إلى أعلى يحسب(١) (يسمي ولد). قذف الولد، «النوم» أو «الاربش» يعطي اللاعب فرصة لرمية أخري.

من الضروري الحصول علي «ولد» حتى نستطيع بداية اللعب – عند الوصول إلى مربع الداخل من الضروري الحصول علي «ولد»[٣٢]. لتحويل المربعات الخمسة إلي صف كل من هذه المربعات يحتاج إلى «ولد». في المربع الأخير تصبح قطعة اللاعب «فيل». هنا عليه أن يبدأ مرة أخري من بداية اللعبة مع زيادة في قوة الحركة. رمية «القرنين» يعطي «الفيل» (٥) مربعات تحسب هكذا:

قرنين

واحد باتنين

وفيلو وفيلو

والعين الزايدة

هناك مكافأة من ثلاثة لكل رمية. هذا سيساعد «الفيل» علي تخطي القطع الأخرى، وأي قطعة يتم تخطيها، عليها البداية من جديد. هنا اللعبة تشبه لعبة «السلم والثعبان» اللاعب الخاسر يخضع لطلبات اللاعب الرابح.

هناك لعبة حظ أكثر تقدما، هي: « الطاب » (العصي). هناك (٤٨) مربعا (١٢ × ٤) و(١٢) قطعة لكل من اللاعبين أو الفريقين.

يتكون الفريق فقط من لاعبين اثنين. كل لاعب (او فريق) يعمل علي ان تحل قطعه محل قطع الآخر. تبدأ اللعبة برمية (ولد)، والمهمة هي الهجوم علي قطعة الخصم. هذه اللعبة تشبه كثيرا اللعبة الانجليزية (Back-gammon).

يلعب الصبيان هذه اللعبة أثناء رعيهم للغنم، أو أثناء فترات الراحة خلال تحركاتهم لأداء الواجبات البيتية.

أثناء الخريف لا يلعب الأولاد «السيجة « ولا «الطابا «، لأنهم يتفرغون عندئذ لصيد الطيور أو اللهو بالجعالين. يتم وخذ هذه الحشرات المسكينة بالأشواك لتدور من الألم في حركات تشبه دوران عجلة الساقية، أو يتم تعريضها للنيران لتصدر أزيزا كأزيز الساقية. أهم ألعاب القوة والرجولة هي لعبة «الشطارة» (وتعني هنا الشجاعة)، ثم «البطان» و»الصراع».

«الشطارة»

هي لعبة الشجاعة. يضع الصبي علي ذراعه قطعة يكون طرفها احمر ملتهبا من النار. وكلما تعددت الآثار التي تركتها النار علي ذراع الصبي كان فخورا بذلك. وكما يقول اللواء نجيب في مذكراته[٣٤] بان الشطارة كانت تمارس في أعالي النيل الأزرق، من خلال تعريض الجلد لبخار الذرة المغلية حيث يتم احتراق أكبر جزء ممكن من الجلد. يشيد اللواء نجيب بهذه اللعبة ويقول بأنه مارسها وأنها لعبة تساعد الصبي علي الجلد وقوة التحمل.

«البطان» هو الجلد بسياط الشجر الخضراء. يقف صبيان، كل منهما يجلد الآخر جلدات متساوية العدد. والخاسر هو الولد الذي يتأوه أو يظهر عليه أي نوع من أنواع التعبير عن الألم أو الخجل. لا يقف «البطان» عند حد الطفولة، بل يزاوله الشباب، لاكتساب إعجاب البنات أو كأسلوب لفك مشاجرة ما. ولكن السلاح يتحول هذه المرة من مجرد فرع الي سوط مصنوع من جلد الخرتيت[٣٥].

«الصراع» (المصارعة)، هي أن يمسك الصبي خصمه في الجزء

المرتفع قليلا من الخصر، ويعمل علي الإيقاع به علي الأرض، أو أن يقوم بحركة ماهرة تجعله يسقط لوحده. هناك «صراع» أكثر مهارة يمارسه الصبيان الكبار والشباب. هنا يقوم الصبي بإحداث حفره في الرمال، يثبت عليها قدمه اليمني. يهاجمه الخصم ليجبره علي إخراج قدمه من الحفرة. إذا لمست قدم المهاجم المرفوعة الأرض، يُعـدُّ الطفل الموجود في الدائرة منتصرا. هذه اللعبة لا زالت منتشرة في القرى النائية.

الألعاب الليلية

يوفر ضوء القمر فرصا واسعة للعب أثناء الليل يمكننا تقسيم الألعاب الليلية إلى مجموعتين: ألعاب الأولاد الكبار،المراهقين والشباب. ثم العاب الأطفال الصغار. «حرينا» و» **شليل** « هما أكثر الألعاب انتشارا وسط الكبار، أما العاب الصغار المنتشرة فهي:»الميز»، «الغراب» و»هو-لاب -لاب» ثم لعبة «الثعلب».

«حرينا»

هذه الكلمة تعني حرفيا «لقد سَخُنَّا»، أي أننا علي أهبة الاستعداد. تحتاج اللعبة إلي فريقين مكونين من عشرة أطفال.يقف كل فريق في صف علي أن تكون المسافة بينهما حوالي مئة ياردة.هدف كل فريق هو تشتيت صف الفريق الآخر. يستعد الصبيان للقفز، ويلوي كل ولد إحدى قدميه إلي الخلف بحيث يمسكها بيده. يبدأ احد الفريقين في الحركة ويكون هو المدافع والفريق الآخر هو المهاجم. يختار

فريق المدافعين واحدا منهم ليكون»العروس». يقررون ذلك بدون أن يعرف الطرف الآخر من هو «العروس». واجب الآخرين الدفاع عن العروس حتى تصل إلي الهدف. أي لاعب تصل قدمه المرفوعة علي الأرض أو يقع هو نفسه علي الأرض يخرج عن اللعبة. إذا تم طرد العروس يكون فريقها مهزوما. يعمل كل عضو في فريق الدفاع علي إيهام الفريق الآخر علي أنه هو «العروس». ويعمل علي خداع الآخرين وجذب انتباههم حتى تصل العروس الحقيقية الي نقطة النهاية. ويبذل وقتَ كثيرَ وطاقة حتى يمكن معرفة «العروس» وأخيرا تنجذب الأنظار نحو نطاط متفرد يعمل بسرعة للوصول إلي نهاية الملعب وهنا يصرخ المهاجمون:»العروس»» «العروس». يحدث ارتباك وضجيج لمحاولة منع «العروس» من الوصول للهدف النهائي.

«حرينا» لعبة يمارسها كل صبيان القرى. وأحيانا تشارك فيها بنات «مسترجلات». تمارس هذه اللعبة الآن في المدارس أثناء أوقات الاستراحة.

«شليل»

هذه لعبة معروفة لدي قدماء العرب وكانت تسمي عظم وضّاح [٣٦]. كلمة « شليل « السودانية لها أيضا جذور عربية « شلع « أي يعثر أو طارد.

يـُعــرض . عظم أبيض علي كل الحضور، حتى يتأكد كل فرد من أنه سيستطيع تــعــرّفــه فيما بعد، ثم يمسك احد الصبيان بهذا العظم ويصيح:

شليل وينو؟

يردد الآخرون وراءه:

أكلوا الدودو

يصيح الصبي مرة أخري:

شليل وين راح؟

يردد الصبية:

أكلوا التمساح

ثم يرمي الصبي « شليل» (أي العظم) بعيدا في الهواء يجري كل الصبية بحثا عن العظم. من يجد العظم يقوم بقذفه مرة أخري.

أحيانا تشارك البنات في هذه اللعبة. اختفت هذه اللعبة الآن من كل قُرى السودان النهري.

«الميز»

وهي تشبه لعبة (الكريكت) ويلعبها الأطفال الصغار. الكرة هي بذره ثمرة الدوم. اللعبة هنا فردية ليس هناك فريق، كل صبي يلعب لمصلحته فقط. يقوم الصبي برمي الكرة إلى ابعد مدي ممكن، يذهب الصبيان لإحضارها من نقطة الميز. الفائز الأخير هو الذي يتمتع بالركوب علي ظهور الخاسرين.

يسمى

«الغراب»

تربط عيون الصبي ويقاد إلي مسافة بعيدة. يُسمَى الصبي «الغراب» يجلس بقية الصبية علي الأرض في شكل صف. الصبي

علي يمين الصف الأول يعمل علي تغيير صوته - بقدر الإمكان- ويصيح:

- غراب.

يرد «الغراب» قائلا: « غاق »(تقليدا لصوت الغراب) ثم يدور الحوار الآتي:

الصبي: سف التراب

الغراب: سفيتو

الصبي: جاتك مريكب

الغراب: اتعدت

الصبي: فيها حريرة

الغراب: اتعدت

الصبي: فيها ضريرة

الغراب: اتعدت

الصبي: فها البحوشك ويكسر ضروسك...... شنو؟

علي «الغراب» التخمين، من هو الولد الذي ناداه. إذا كان حدسه غير سليم، يقوم ولد آخر بتكرار العملية. وإذا نجح في التخمين – ولابد أن يفعل ذلك، نتيجة لتكرار المحاولات-. هنا يقوم بامتطاء ظهر الصبي الذي تعرف علي صوته. يفعل ذلك علي الرغم من أن عيونه تكون معصوبة، وهنا يثير تخبطه ضحكات الأولاد.

«هو- لايب- لب»

يجلس صبي علي بعد عشرين ياردة من مجموعة الأطفال الذين يقفون في صف يكتب الصبي رقما معيناً علي الرمال. ثم يشير الى

أول ولد في الصف:

يا أول

يرد الولد: هو لاب لب(مقلدا صوت التيس وهذا بمثابة رد وقح)

عندها يسال الكاتب: كم في الخط؟

هنا يذكر الولد رقما، قائلاً:

أمانه عليك

تقدد عينيك

ما ٩؟ (على سبيل المثال)

إذا كانت الإجابة خطأً يسال الكاتب الولد الثاني بنفس صيغة السؤال الأول. إذا كان التخمين صحيحاً، يصيح:

شد واركب

هنا يحاول الولد الذي كان تخمينه صحيحا، أن يركب علي ظهر أي من الأولاد الآخرين والذين يجرون في اتجاه الولد الكاتب. يقوم صاحب الإجابة الصحيحة بمطاردتهم، ويمتطي ظهر أول ولد يستطيع الإمساك به.

هناك أشكال متعددة للعبة «هو-لاب-لب». في بعضها يستخدم الأولاد كلمات نابية مثل أن يصيح ولد قائلا:

أبوكم جاكم

ويرد عليه الأولاد: ربانا ورباكم



يجلس عدد من الأولاد علي الرمال في شكل دائرة، يمسك احدهم بعمامة علي يده، ويكون أحد طرفي العمامة معقودا (ومملوءاً بالحصى-في حالة الأولاد الذين يفضلون اللعب الخشن -). يجول صاحب العمامة حول الأولاد الآخرين ويقول:

الثعلب

يرد الآخرون:

ثم يستمرون:
الثعلب: الثعلب
الأولاد: فات فات
الثعلب: وفي ديله
الأولاد: سبع لفات
الثعلب: والجبة
الأولاد: وقعت في البير
الثعلب: وصاحبها
الأولاد: واحد خنزير

ثم يرمي الثعلب بالعمامة خلف أحد الأولاد، وهو مستمر في قيادة الجوقة الغنائية. إذا لم يلاحظ الولد الذي قذفت العمامة خلفه هذا الأمر، يقوم الثعلب بضربه بعقدة العمامة ومطاردته حول الدائرة. أما إذا اكتشف الولد بان العمامة قد وقعت خلفه فانه هو الذي يقوم بضرب الثعلب ومطاردته حول الدائرة، ويجلس في محل الثعلب ويصبح هو الثعلب.

يبدو أن هذه اللعبة قدمت إلي السودان من مصر، لأنّ بعض كلماتها لا تشبه اللهجة السودانية، مثلا كلمات (صاحبها) و(في ديله) وهذه اللعبة تشبه اللعبة الانجليزية والتي تقول:

I sent a letter to my love»
And on the way I dropped it
Some one must have picked it up
And put it in their pocket

"It is not you.... It is not you....etc

وترجمتها هي:

«أرسلت خطابا لحبيبي
ولكنه سقط مني في الطريق
يبدو أن أحدهم قد التقطه
ووضعه في جيبه
لست أنت...لست أنت...الخ».

ألعاب البنات

عندما تقوم البنات برعاية الماعز أو جمع الحطب، فإنهن يمارسن ألعابا تشبه ألعاب الأولاد ولكن مع ذلك لديهن بعض الألعاب الأنثوية الخاصة بهن. وهي ألعاب تعتمد أساسا علي الغناء والرقص وتسمي هذه الألعاب «الحردفة » وهي كلمة مصوغة علي أساس اللفظ بمعني أن صياغتها تعتمد علي إيقاع الحركة تتم»الحردفة» بأشكال مختلفة.

تقف بنتان كل منهما تواجه الأخرى، وكل منهما متأهبة للقفز كالأرنب قبل بداية الرقص كل بنت تقوم بالثناء علي أبيها أو تقلل من قيمة آباء الأخريات:

المردفة
ابوي أنا
الراكب الحمراء
المحجلة

وابوك إنتِ

الراكب الكديس

يمشي وينيص

وأحيانا يغنين عن من يتقدم لخطبتهن مستقبلا ويرفضنه:

ياود أم سكيكة

يا جياب الويكة

ما بدوني ليكا

ربوني الشايقية

عسكر أب طاقية

محمد اخوي وحيدو

جمله بعسك بي قيدو

وأحياناً تغني البنات أغاني نابية، يقمن من التقليل من قيمة بعضهن البعض، وهجاء فتاة متخيلة، تكون رمزاً لكل ما يكرهنه. مثلاً

أبوي جا

من الصلاة

ودق الفتاة

فوق جملها

من أجمل تلك الأغاني، أغنية « أم قيردون «. وهي أغنية يغنيها أحياناً الأولاد.» أم قيردون «، طائر صغير يسود اعتقاد بأنه يستجيب للغناء. تقول الأغنية:

أم قيردون يا الحاجة

ولدك عريس يا الحاجة

فركة وقميص يا الحاجة

قاعدة في ديوانا

تعشي في ضيفانا

قاعدة في تكيلا

تنخس في...... أغان

عدا هذه الكلمات النابية، هناك أيضا أغـان دينية. تتجمع البنات الصغيرات في سن السادسة والسابعة ومعهن أخريات في سن الثانية عشرة والثالثة عشر، بل وأيضا فتيات في سن الثامنة عشرة. يقمن بإيقاد النار وغلي الدرة «البليلة»، والتي يقدم جزء منها قربانا لله، كي يعمل علي حماية القرية من الأوبئة والمصائب وحتى تنضج «البليلة» - وقد يستغرق هذا الأمر ساعة أو أكثر - يقمن بالغناء:

الكرامة تلاقي

البلا البنداقي

تدفع البلا

يا كريم تقبلا

تدفع البلا

يا الرسول تقبلا

تدفع البلا

يا العزيب* تقبلا

يأكلن القليل من البليلة، ثم يتجولن ويغنين وهن ينثرن حبات الذرة على الأرض. الأغنية التالية يشتهر بها الجعليون:

يا الرسول حوضك السبيل

* هو موسى العزب مات أعزب وهو جد للمؤلف مقبور بالدامر، مقبرته معروفة بدفن الموتى من الأطفال

حملنا غيرك منو البشيل
يا الرسول حوضك السبيل
تمان حبات يا أب علامة هلية
يا مفتاح جنة الحواري
سلام عليك يا رسول يا غالي

مثل هذه المسيرات لم تعد موجودة، ولا حتى في الأطراف النائية من البلاد.فقط كبار السن يتذكرون مثل هذه المسيرات ويصفون حياتنا الحاضرة بأنها أشد قسوة وبان الأمراض أصبحت أشد فتكا،وكل ذلك لان البنات لم يعدن قادرات علي تنظيم مثل هذه «الكرامات» التقليدية، كما لا يقمن بالغناء والصلاة على النبي، ومن الطريف ملاحظة أن الأغاني النابية لم تختف مع الأغاني الدينية.

الحكايات الفولكلورية والتسلية المسائية

بجانب الألعاب والأغاني تقوم الأمهات والجدات بتسلية الأطفال من خلال سرد حكايات وطرح الغاز يتوجب علي الأطفال حلها ويسمَّى كل ذلك «حُجى» (حكمة) « ألحجي» لايتم قوله إلا في المساء. سرد الأحاجي والألغاز أثناء النهار يعني التبطل، وهذا أمر يؤدي الي إفقار السارد والمستمع وإصابتهما بالأمراض. هناك طريقة تقليدية لسرد الأحجية:

حجيتك
ما بجيتك
خيراً جانا وجاك

أكل عشاك

وجرى خلاك

ثم تأتي الأحجية نفسها. مثلاً:

دخل القش

وما قال كش



أحاجي الأطفال الصغار تكون أقل إتقاناً. مثلاً:

كانت هناك مرة

كان عندها بت وولد

تكون هذه المرة المقصودة إمّا عمة الطفل أو أخته أو احدي قريباته.

تبدأ الحكاية بمقدمة تقول:

قالوا كان زمان

مرة عجوز

تنتهي الحكاية:

انحترت

وانبترت

في حجر الصغير فينا

الحكاية التالية هي نموذج للحكاوي.

العم الشرير

سافر الرجل لمكة لأداء فريضة الحج وترك ابنه وابنته مع أخيه. كان ذلك في موسم الأمطار. قام العم بإرهاق أولاد أخيه بالعمل الشاق حيث أجبرهما علي حصد كل الثمار ثم جعلهما يقومان بإزالة العشب الضار. وعندما بدأت تظهر الثمار الأولي للقمح بني لهما عشه فقيرة وحبسهما فيها طول الوقت ليقوما بإخافة الطيور وكان يمنعهما حتى من أكل حبّة قمح واحدة إلا بعد استئذانه. وفي يوم من الأيام كان الصبي جائعا جدا وأكل قندولاً من القمح، على الرغم من نصيحة أخته بأن لا يفعل ذلك. انتبه العم لعدم وجود القندول وبدأ في السؤال قال له الولد بان الغربان والعصافير هي التي أكلت القندول.

غضب العم غضبا شديدا ولكنه كتم غضبه، وقال لابني أخيه ضاحكاً: « لا تجعلا الطيور تأكل مرة أخري من القمح وإلا قطعت

آذانكما «.

في إحدى المرات نادي العم الطفل صارخا: «يا محمد «. جرى الولد لعمه. تلبدت البنت خفية لترى ماذا يريد العم من أخيها. قال العم لابن أخيه: «يا محمدا إنَّ شعرك طويل جداً ومنكوش يجب حلاقته. احضر لي الموسى وبعضاً من الماء». صب العم الماء علي رأس الطفل وبدا في حلاقة رقبته ثم سأله: « ماذا حدث لقندول القمح؟» أجاب الولد بان الغراب أو العصافير أكلته. قال العم: «الم تقطفه أنت بيديك؟». قال الولد: «لا لم أفعل ذلك». قال العم: «لقد فعلت ذلك يا ولد. نعم، لقد فعلت ذلك، لقد رأيتك بعينيّ هاتين. لقد قطعته هكذا « وقام العم بقطع رأس الطفل ودفنه، وهو يضحك بخبث. شاهدت البنت وسمعت كل ذلك، التفت العم ورآها تتخفّى بين أعواد القمح. حاول العم الذهاب إليها، ولكنها جرت خوفا علي حياتها، جَرى العم خلفها وعندما اقترب منها صرخت في يأس:»يا أمنا الأرض ابلعيني «.

انشقت الأرض وقامت بابتلاع الطفلة، وعادت مرة أخري إلى حالتها الطبيعية، ظلت البنت تحت الأرض والعم يقف في انتظار خروجها.

وفي يوم من الأيام انشقت الأرض مرة أخري وخرجت البنت وكانت هنالك قافلة تمر علي الطريق، ووقفت البنت في مواجهة القافلة، وبدأت في البكاء وهي تقول:

سلام سلام يا جلابة
جملو الهدير يا جلابة

سوطه الوروير يا جلابة
تويو توب حرير يا جلاية
عمي أخو أبوي يا جلابة
كتل محمد أخوي يا جلابة
في شان قندول يا جلابة
والقندول يا جلابة
أكلو الزرزور يا جلابة
أبوي أخدرن طويل يا جلابة
عليكُن الرسول يا جلاية
طه أبو البتول يا جلابة
كان فيكُن أبوي يا جلابة

ذهب العم إلي القافلة صائحاً: «هذه البنت شريرة، وهي كاذبة، وهي هاربة. اربطوها وسلموها لي». «لا، لا « قالت البنت: «أرجوكم لا تفعلوا ذلك. انه وغد.لقد قتل أخي. اطلب منكم حمايتي.»

قال رجال القافلة: «أنت فتاة شقية اسمعي كلام عمك»». حاولوا ربطها، ولكنها طلبت من الأرض ابتلاعها.

لم ييأس العم من القبض علي بنت أخيه كما أنَّ البنت لم تيأس من احتمال وجود أبيها ومرة أخرى انشقت الأرض وخرجت منها البنت ومرة ثانية كانت هنالك قافلة تمر. ونادت البنت رجال القافلة كما فعلت في المرة السابقة وحاول العم القبض عليها، كما حاول رجال القافلة أيضا ربطها ولكن الأرض انشقت مره أخرى وابتلعتها.

حدث هذا الأمر عدة مرات حتى بدأت البنت تفقد الأمل في

احتمال وصولها لوالدها. وقال العم لنفسه: «لايمكن أن أضيع وقتي جريا وراء هذه العقربة الصغيرة، من مكان الي آخر. يجب أن ارجع لبلدي.»

بعد كلامه هذا مباشرة، مرت قافلة جديدة. انشقت الأرض وخرجت الفتاة تنادي القافلة:

سلام سلام يا جلابة
جملو الهدير يا جلابة
سوطه الورير يا جلابة
توبو توب حرير يا جلابة
عمي أخو أبوي يا جلابة
كتل محمد أخوي يا جلابة
في شان قندول يا جلابة
والقندول يا جلابة
أكلو الزرزور يا جلابة
أبوي أخدرن طويل يا جلابة
عليكن الرسول يا جلابة
طه أبو البتول يا جلابة
كان فيكُن أبوي يا جلابة



تقدم أحد أعضاء القافلة وكان رجلا طويل القامة. كان هو والد البنت. أخذها بين أحضانه وسألها: « وين عمك؟ »، أشارت الي مكان وجود عمها حيث كان يحاول امتطاء حصانه ليهرب ركله الحصان ركلة قوية وجرى. كان العم خائفا عندما اقترب منه الأب حاملا سيفه.

صرخ العم: «أيتها الأرض ابتلعيني». ولكن الأرض لم تستمع لندائه. قطع الأب رأس أخيه وحرق جثمانه ورمي الرماد في النهر.

ظلوط والضبعة

كان ظلوط تيسا هزيلاً أجربَ. وكانت له أخوات جميلات. كن يذهبن إلى المرعى لمدة ساعة مرتين يوميا صباحا ونهارا. اكتشفن مرعىً غنيًا مملوءاً بالحشائش اللذيذة. ولكن ظلوط كان دائما يقبع في القرية حيث لا يجد طعاما غير الخرق البالية وبعض القاذورات وأحيانا نوى التمر. كان هزيلاً بينما كانت اخواته يتمتعن بصحة جيدة ويزددن سمنة.

في يوم من الأيام قال ظلوط لأخواته: « أصبحتن سمينات. ماذا تأكلن؟».

كن خائفات من اطلاعه علي موضوع المرعى، لان المرعى كان ملكا لضبعة متوحشة، وكن يعرفن مدى شراهة أخيهن. كن خائفات إذا ذهب ظلوط إلي المرعى سيظل ماكثا فيه حتي مغرب الشمس عندها سترجع الضبعة وتأكله. لذلك قلن له: «نحن نأكل الخرق البالية والقاذورات، حتَّى نوى البلح لا نجده».

نظر إليهن طويلا: إنهن كاذبات « قال لنفسه، ثم التفت إليهن قائلا: «لا أصدقكن. دعنا نضع حوافرنا علي حلوقنا ونتقيأ لنرى ماذا أكلنا ».

فعلت اخواته ذلك لأنهن كن خائفات من غضبه تقيأن طعاما اخضر ويانعاً، بينما تقيأ ظلوط خرقا وقاذورات. وهنا سألهن ظلوط:»أين تجدن مثل هذا العشب الأخضر «. وأصر علي الذهاب معهن إلي مرعى الضبعة.

قلن له: «يا ظلوط يا أخي أنت نهم، ونحن نعلم بأنك لن تستطيع مفارقة العشب الأخضر بعد أن تتذوقه». ولكنه زاد في الإلحاح ولم يكن أمامهنَّ إلا أخذه للمرعي.

كان ظلوط سعيدا عندما وصل المرعي وبدا الأكل في شراهة نسي كل تحذيرات أخواتُه . عند المغرب رفض مبارحة المرعي ولم يعر توسلات أخواتُه أذنا صاغية وصلت الضبعة واقتربت من أخوات ظلوط وسألت الأولي: «شِنّ البينطق؟ «. أجابت المعزة: «السناني». سألن الضبعة: «شِنّ الراقدات «. «إضيناتي» ردت. «شِنّ البيعاين؟ « سألت الضبعة. «عويناتي « كان الرد. «شنّ البي وراك؟» سالت الضبعة. «ضنيبي» كان الرد.

اهتزت الضبعة ونظرت إلي المعزة نظرات رهيبة ثم ابتلعتها. تكرر الأمر مع الثانية والثالثة.

كان ظلوط ما زال مستمرا في الأكل. اقتربت منه الضبعة وسألته:» شن البينطق؟ «.رد ظلوط:» الحرب تضرب «. سألت الضبعة:»شن الراقدات «. «الدرق ممددات« رد. «شن البيعاين؟ « سالت الضبعة.» النار بتوقد» كان الرد. «شن الواقفات؟ « سالت الضبعة. «الحراب مسللات» كان الرد.

بدأت الضبعة في الهجوم، ولكنه لم يخف. رجع للخلف وأغمد قرنيه في بطن الضبعة. تمزقت البطن وخرجت أخواتُه سليمات وسعيدات وأصبح المرعي ملكا لظلوط وأخواته حيث لا وجود للضبعة.

التعليم

موضوع التعليم - في حد ذاته يستحق دراسة كاملة، لأنه يغطي العديد من المجالات. فلنأخذ مثلاً التدريب التقليدي في مجالات: الزارعة، الصيد، الرعي، الحرب والمهارات الصناعية المحلية. كل من هذه المجالات تحتاج الى عملية مسح شاملة لفئات المجتمع المختلفة. في حالة المهارات العادية في مجالات الولادة، الممارسات الطبية (وبالذات جبر كسور العظام)، الممارسات البيطرية، بناء السواقي....... الخ - كل ذلك يسمى « البصارة «. تقوم الأسر بتدريب أفرادها في هذه المجالات، وتنتقل المهارات من الآباء الى الأولاد والبنات طبقاً لطبيعة المهارة المعينة. معالجة الأمراض النفسية والعصبية، والكثير من الأمراض الهيّنة يمارسها الطب الشعبي بمعنى أنها مجالات تدريب يمارسها « الفكي « - المعلم الديني-.أما التدريب على القتال فهو مهمة القبيلة كلها. صيد التماسيح وأفراس البحر يشكل حرفة تنتقل من الآباء الى الأبناء..... وهكذا.

في السابق كان التعليم الديني يشمل مجالات واسعة، تحول العديد منها الآن الى التعليم العلماني. كان الكثير من أشكال التعليم يتم من خلال التقاليد الشفويّة . وكان كل رجل أو امرأة يتلقى التعليم

طبقاً للطريقة الدينية التي تنتمي لها أسرهم وللفكي التقليدي الذي يعتقدون فيه، وفي كثير من الأحايين كان التدريب الرسمي لصغار الزعماء الصوفيين يتم أيضاً عن طريق التقاليد الشفهية. في بعض الأحيان يصل بعض هؤلاء الشباب إلى مراكز مرموقة ؛ إما عن طريق الترقية التدريجية، أو حسب المشيئة الإلهية - كما في حالة سلمان ود العوضية. كان سلمان يحمل جرة « المريسة »، حيث كان يعمل مع إحدى الخدم بائعات المريسة، قابل في الطريق بعض الأولياء المسافرين، طلبوا منه قليلاً من المريسة، أعطاهم بدون تردد، وكان ذلك دليلاً على الكرم الأصيل. تحولت المريسة الى ماء في أفواه الأولياء، ودعوا لسليمان بالبركة، قائلين: « فليسقك الله من كأس المصطفين » وهنا انتابته حالة من التجلي والتصوف وأصبح من أولياء الله الصالحين.

الأدب الشعبي زاخر بقصص الأولياء،وهو يحتوي على تعاليم أساسية عن الإسلام، يحتوي على سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وعدد من القصص التقليدي، ولذلك لم يكن الرجل العادي والمرأة العادية جاهلين بخلفياتهم الدينية. بل أن العديد من الناس كان يعلم بأمور الدين أكثر من بعض المتعلمين المعاصرين - وخصوصاً وسط الجيل الجديد - على الرغم من أن الأخيرين يستطيعون القراءة والكتابة.

التعليم الرسمي كان يتم عن طريق مؤسسة « الخلوة »، معنى الكلمة واضح وهو « الاختلاء » وهذا يعني أن المعلمين الدينيين يلجأون للانفراد بأنفسهم زهداً وبحثاً عن التجلي الإلهي. وبهذا ارتبط تعليم

القرآن بالفقهاء الذين يعيشون في خلوة، بطريقة أو بأخرى. أصبحت « الخلوة » هي مدرسة القرآن. ازدهرت « الخلوة » من أيام الفونج عبر العهد التركي المصري، المهدية، الحكم الثنائي واستمرت حتى الآن. كانت « الخلوة » تتبع لأفراد أو أسر لا تشارك في النزاعات القبلية ولا حتى النزاعات داخل القبيلة نفسها. وبمرور الزمن ازداد نفوذ « الخلوة » حتى أصبح زعماء العشائر والقبائل يدينون بالولاء لفقهاء « الخلوة ». هذا الأمر قد يفسر جزئياً نجاح المهدي في فترة قصيرة وتخطيه للمصاعب. وقد يفسر أيضاً جزئياً لجوء الحركات الوطنية إلى الطوائف الدينية مثل الختمية والأنصار، بهدف الحماية قبل القيام بأي مفاوضات سياسية.

دراسة الطرق الدينية في السودان ؛ كيف بدأت وكيف وصلت الى هذه الدرجة من القوة والوضع المتميز – هو أمر يتجاوز إطار هذه الورقة. يمكننا هنا الإشارة للمؤلفات المتعددة مثل « المنايب » و« الطبقات »، وبعض الأعمال المعاصرة، مثل المقالات المنشورة في « السودان في رسائل ومدونات » وكتاب عبد العزيز عبد المجيد « التعليم في السودان »، وكتاب تريمنجهام: « الإسلام في السودان» – هذان الكتابان يمكن اعتبارهما أعمالاً رائدة في هذا المجال.

أبرز مثال للتغييرات التي حدثت للطرق الدينية، يمكن أن نجده في ممارسات الشباب.

سنهتم هنا أساساً بالأسلوب الذي يتلقى به الشباب الصغار في فترة ما قبل الزواج (أي من سن السابعة وحتى الثامنة عشر) دراستهم اليومية في مدرسة القرآن.

معلم الخلوة لا يتقاضى أي مرتب - بمعنى كلمة مرتب -. هو « فقير» ديني محترف، وهو في بعض المناطق يمارس عملاً آخر بجانب أنه فقير، كأن يعمل مزارعاً أو تاجراً أو صاحب مؤسسة صغيرة... الخ. كان ذلك في زمن « فقراء الدامر ». يعيش الفكي عادة على الهدايا الصغيرة التي تقدم له في أيام أو أسابيع معينة (يوم الثلاثاء أو الأربعاء) أو عندما يصل تلاميذه الى مرحلة دراسية معينة. حتى في المناطق الزراعية والتجارية مثل الدامر وبربر، يوجد معلمون صغار للمدارس القرآنية، يعيشون على الهدايا الصغيرة التي يقدمها لهم تلاميذهم. ويعيش الزعماء الدينيون أيضاً على الهدايا التي تقدم لهم من زعماء القبائل والعشائر وملوك سنار، وسط مظاهر التبجيل والاحترام. في العهد التركي كان الحاكم يقيم علاقة خاصة مع الزعيم الديني - مثلاً العلاقة بين حسين باشا خليفة والشيخ محمد الخير في بربر.

يوم الثلاثاء كان هو يوم جمع « الحطب للخلوة ». تستمر هذه العملية منذ الصباح الباكر وحتى غروب الشمس. ولمنزل الفكي نصيب خاص من هذا الحطب. جمع الحطب كان يسمى « الفزع ». والكلمة تعني حرفياً تجمع الناس لمواجهة خطر ما. و« الفزع » لا يعتبر عملاً بمعنى الوظيفة، وإنما هو واجب ومناسبة للعمل الجماعي. يقوم التلاميذ بتكسير الحطب، وهم أثناء ذلك يطاردون الأرانب أو يعومون أو يتصارعون مع بعضهم البعض.

الأربعاء يوم « الكرامة ». يذهب التلاميذ في مجموعات صغيرة تتكون من تلميذين أو ثلاثة وأحيانا يذهب تلميذ واحد للبيوت، يطلبون الذرة والفاصوليا، تجمع هذه الحبوب وتعمل منها « البليلة،

التي يأكل منها كل أفراد الخلوة. باقي الذرة والفاصوليا يذهب إلى منزل الفكي.

مرحلة ترقي التلميذ تسمى « الشراقة » يطلق على بعض سور القرآن اسم « الشرافة » (من كلمة « شرف »)، عندما يقوم الطفل بحفظ هذه السور عن ظهر قلب، مما يعني انه أحرز درجة متقدمة من التعليم. يمكن للطفل بعد ذلك ترك الخلوة، رغم أنه لم يحفظ القرآن كله، ولكنه يصل إلى شرافة سورة يس (مثلاً).... كلما كانت مرحلة الحفظ أصغر قلت قيمة الهدية المتوقعة، وقلت قيمة الطعام الذي يقدم في هذه المناسبة. يتوقع تقديم اللحوم عند شرافات «يس » و« الفرقان » « الكهف « الأعراف » و« البقرة » في مثل هذه الحالات يُذبح كبش وقد يصل الأمر إلى ذبح عجل عند شرافة سورة « البقرة ». وتعتبر الكرامة يوماً للتخريج. تختلف الهدايا التي تقدم للفكي، حسب الوضع المالي للأسرة وحسب كرم هذه الأسرة.

الفكي يتسلم أيضاً هدايا أخرى تسمى « البياض » – وقد أشرنا للبياض في مقدمة مقالاتنا هذه – ويتم تقديمه في حالة علاج الأمراض الخفيفة مثل الصداع، الغثيان، الإحباط، وبعض أمراض الأطفال الصغار. أما بالنسبة للأمراض الخطيرة فالأمر يتطلب الاستعانة بسلطات طبية / دينية أكبر من الفكي. في الغالب العام يرفض الفكي علاج الحالات النفسية الخطيرة، لان هذه الأمراض يسببها « الجان » والذي يمنع الفكي من التدخل في اختصاصاته، وإلا اعتدى الجان على أبناء الفكي نفسه بواحدة من ألاعيبه الشريرة ولهذا السبب يرفض الغبش والمجاذيب التعامل مع الأمراض العصبية والنفسية.

تلميذ الخلوة يسمى « حوار « (الجمع: حيران). كلمة « حوار « تعني في اللغة العربية « الجمل الصغير « وهذا إيحاء ميتافيزيائي يعني بأن التلميذ يتبع أستاذه، كما يفعل الجمل الصغير مع أمه. يذهب الطفل إلى الخلوة ابتداءً من سن الخامسة وحتى الخامسة عشرة.وكلما كان عمره مبكراً، حسن ذلك. تقود الخادمة الطفل إلى الفكي وتقول له:
« أضربه إذا كذب. علمه الأخلاق. القرآن نعمة وهبها لنا الله.»
هذه الكلمات مهمة، لأنها تشير إلى أن الخلوة مؤسسة للتدريب الديني الرسمي وليست لأولئك الذين يريدون حفظ القرآن كله أو يريدون أن يصبحوا شخصيات دينية. ومناسبات « الفزع « و» الكرامة « ما هي إلا بناء وتطوير لما نسميه الآن « الروح الجماعية «. والسلوك تجاه الفكي أو من يمثله، هو بالضبط المطلوب أن يتعامل به مع الكبار. « الحيران « يجدون فرصاً كثيرة للأكل مع الفكي وتلاميذه، وذلك في الاحتفالات- التي أشرنا إليها فيما سبق-، وفي ما يسمى «الصدقة «، وهي الوليمة التي تقام تكريماً للميت. تحتوي هذه الولائم على اللحوم – والتي لا تتوافر إلا في هذه المناسبات -. ومع أكل اللحوم يتعلم الطفل آداب المائدة. هناك قصة طريفة تحكى حول آداب المائدة: جلس الحيران على مائدة يتوسطها طبق مملوء بالخبز والأرز واللحم. مرّ عابر سبيل ودعاه الفكي للجلوس وسط الحيران
(والذين يميلون بطبعهم الى الدعابة، على الرغم من أنهم يحاولون التظاهر بالأدب). حاول الرجل بخفة وبراعة جذب قطعة لحم كبيرة إلى الجانب الذي يأكل منه، ولكن احد الصبية الملاعين بدأ في حفر فجوة وسط الخبز والأرز بحيث سقطت قطعة اللحم في جانبه هو، هنا

انتفض الضيف غاضبا وصاح: « هذا جزاء من يأكل مع الأطفال« كان نظام الخلوة «صارماً.

كان الجلد بالعصا وحطب الأخشاب في أي مكان من جسد الطفل أمراً عادياً للتأديب وكان أهل الطفل عندما يقدمونه للفكي، يقولون له: « لنا العظم ولك اللحم»، وهذا إذن واضح للفكي بأن يضرب ويجلد ويعاقب كيفما يحلو له. على الرغم من ذلك لم يكن النظام في الخلوة مجافياً لأساليب التربية. لم تكن هذه القسوة بعيدة عن شراسة البيئة بشكل عام. خريجو الخلوة كانوا أكثر قدرة على احتمال قسوة الحياة، من رصفائهم الذين لم يرتادوا الخلوة. بجانب ذلك فإن التعليم عموماً يتسم بالصرامة، ولكنه يضع أسساً تربوية مفيدة. أول ما يصل الطفل الصغير إلى الخلوة يطلب منه الترنم بكلمات تحتوي على النواة الأولية للتعليم الديني - مثلاً أسماء الله الحسنى-. ثم يتلقى دروساً في كتابة الحروف الأبجدية على الرمال ليتعود على شكلها. ثم يطلب منه كتابة هذه الحروف من الذاكرة، ويتعلم بعد ذلك حروف العلة. ثم يعطى الطفل بعد ذلك لوحاً خشبياً ليكتب عليه هذه الحروف. المرحلة التالية هي قراءة الآيات القرآنية الصغيرة بدءاً بسورة «الفاتحة «. بعد ذلك يستطيع الكتابة. هذا هو منهج الخلوة: مدخل تحليلي لدراسة حروف الهجاء ومدخل تركيبي لتعليم القراءة وكتابة الجمل الكاملة. اعتقد أن هذه طريقة ناجحة وسريعة لتعلم الإملاء، وهي أحسن من الطرق المستخدمة حالياً. لأنها تبدأ بمنهج تحليل شخصية الفرد، ثم قدرته على صياغة الكلمات. « كتاب الأطفال « المستخدم حالياً في المدارس يستخدم المنهج التركيبي بصورة غير متكاملة، حيث يبدأ

بجمل لا تضع اعتباراً لإسهامه الشخصي، مثل: « حمد والجمل »، « الجمل جمل حمد ».

اللوح

توجد دائماً ألواح كثيرة في الخلوة، ومع ذلك فكثيراً ما يجلب « الجيران» ألواحا من منازلهم. وكثيراً ما يعتز كبار الأطفال بألواحهم. الألواح تصنع من شجر « العُشر » أو « الهجليج ». ألواح العُشر رخيصة الثمن وسطحها خشن. أما ألواح الهجليج فهي أغلى سعراً وذات سطح أملس. ميزة ألواح العُشر أن صناعتها تتم بسرعة، ثم أنها تدفع الصبيان للعمل بحماس حتى تتم ترقيتهم إلى ألواح الهجليج. ويبدو أن السبب في عدم استعمال الصغار ألواح الهجليج، ناتج من ندرة أشجار الهجليج في السودان النيلي. يكون اللوح إما مستطيلاً أو مربعاً، وتأخذ قمة اللوح شكل نجمة أو صليب. يكتب الحوار على أحد جوانب اللوح الوقت الذي يتحتم عليه فيه مذاكرة الدرس والاستعداد للدرس القادم. وهو غالباً نصف النهار. وعندئذ يكون اللوح مكتوباً على الجانبين، إذ إنَّ نصف النهار هو أيضاً الوقت الذي يتلقى فيه الدرس الجديد.

صباح كل يوم يقوم الحوار بغسل اللوح من الدروس التي يكون قد انتهى من استظهارها. ولأن هذه الكتابة مقدسة لا يمكن غسلها بأي طريقة كانت، هناك وعاء حجري خاص لهذا الغرض (حجر المحاية). يترك هذا الغسيل بقعاً في الوعاء، ولكن الأمر كله يتخذ طابعاً رمزياً، المياه المتبقية من غسيل اللوح لا تستخدم للشراب ولا

تعتبر « محاية ». وذلك ببساطة لأن اللوح يتم تبيضه بالحجارة الجيرية قبل الكتابة. ولذلك فمياه الغسيل تصبح جيرية ولا تصلح للشراب. الحجر الجيري الذي يمسح به اللوح متوافر في الجبال التي تحيط بأغلب مدن السودان النيلي وقراه.

الحبر الذي يصنع لكتابة القرآن، وكل الكتابات الأخرى، مصنوع من الصمغ العربي والماء. يتم سحق الصمغ العربي ليصبح مسحوقاً، ثم يجمع السخام من المواقد ويخلط بعناية بالصمغ. تشكل نسبة السخام حوالي ٧٠ ٪ من الحبر. تصنع كتل صغيرة من هذا المسحوق، في جرة طينية لتصبح المحبرة الكبيرة التي يملا منها الصبيان محابرهم. يمكن للأولاد استخدام محابر طينية او حتى زجاجية ولكن الطينية أحسن لأنها تقوم بتخمير الحبر وذلك لأنها تحتوي على ثقوب صغيرة

لا توضع كتل الحبر متجاورة بل يتم فصلها عن بعضها البعض بطبقات مصنوعة من شعر ذنب البقر. الخرق ليست مفيدة هنا لأنها تصبح لزجة وتصير رائحتها كريهة. يتم صب قليل من الماء على المحابر وتقفل بالطين أو شعر البقر أو قناديل الذرة بعد استخلاص الحبوب منها. نضـــج الحبر يعني اختماره ويتم التأكد من ذلك عن طرق تذوقه بغمر الأصبع ثم لعقه ويصبح الحبر أسود وشبيهاً بما نسميه الآن « الحبر الشيني » أو « الحبر الهندي ». وهذا الحبر يسمى « العمار»

القلم في العادة يتم صنعه من شريحة من غصن الذرة. يحتاج عمل « الريشة « (القلم) إلى مهارة خاصة. يتم كشط الشريحة بحيث يكون ميلان الجزء الحاد من الريشة بزاوية تبلغ ما بين ٥٤ إلى ٣٠

درجة».

يبدأ يوم الخلوة بالنسبة للكبار قبل صلاة الفجر حوالي الساعة الرابعة صباحاً. ولكن بالنسبة للآخرين فهو يبدأ بشروق الشمس، أو قبل ذلك بقليل. الدروس تبدأ بقراءة الفاتحة وأحيانا ترمي بعض ثمرات التمر ليلتقطها الصغار، هذا التمر فيه البركة. تتم الصلاة بعد ذلك، يجلس الحيران في شبه دائرة حوالي الفكي والفكي يبدأ في الإملاء. في الشتاء يجلس الأطفال في غرفة تسمى « الكراميّة»، أرضية هذه الغرفة من التراب، ويوجد في إحدى جوانبها رف عريض ويكون كالمنضدة، وبالغرفة عمود خشبي يسند السقف وبعد نهاية الدرس توضع الألواح متراصة على الرف،وعلى الحائط توجد تجويفات لوضع المحابر. في حالة الشرافة تُعــلَّــق الألواح على الحائط. وكلما ازداد عدد كتل المحابر، شكلت مع الألواح ديكوراً لمناسبة الشرافة.

يتسلّم الحوار « الرمية « من الفكي، والرمية هي مقتطف من سورة قرآنية، على الحوار إكمالها. يكمل الحوار الآية ويقرأ ما بعدها من آيات. وبما أن كل التلاميذ يصرخون ويقومون بترديد آخر الآيات المكتوبة في اللوح إلا أن الفكي يتمتع – في الغالب - بمهارة عالية يستطيع بها التمييز بين أصوات التلاميذ ويعرف من يقرا صحيحاً من لوحه ومن لا يفعل ذلك. بعد هذه التلاوة يقوم الفكي بمراجعة كل الألواح وتصحيحها.

يختلف وقت الحصة حسب تقدم الحيران في المعرفة في بعض الخلاوي يقوم الحوار – أثناء مراجعة لوحة – بتقديم بعض المعلومات عن السورة المعينة وبتفسير معاني الآيات حتى لا يكون حفظه

بيغائياً.

بعد « الرمية » و« الصحة » (التصحيح) تنتهي الحصة بتفرق الصبيان لمنازلهم، لمواصلة الدراسة في اليوم القادم.في بعض الأحيان تستمر الدراسة حتى بعد صلاة المغرب. في الأربعاء تبدأ الدراسة مبكرة جداً،قبل شروق الشمس، ولذلك لا يحضرها الصغار.

بعد صلاة المغرب توقد نار القرآن، ويجلس الحيران حولها، كل يمسك بلوحه ويبدأ في التلاوة بصوت عالٍ. تبدأ التلاوة المنفردة أثناء الليل وتسمى « العرضة ». قوانين التلاوة صارمة جداً أو يجب أن تُراعَى فيها التفاصيل بدقة. إذا كانت التلاوة جيدة يسمح الفكي للحيران الأصغر سناً بالذهاب لمنازلهم. من لم يلحق دوره في التلاوة ـ يقوم بذلك الواجب في اليوم التالي. وهذه تسمى « قيه « أو « تقييم،وهي تعني حرفياً بقاء الإنسان واقفاً في مكان واحد لفترة طويلة من الزمن.

يمكث الحيران الكبار فترة من الزمن بعد صلاة العشاء ثم يتم بعد ذلك صرفهم. قبل انصراف الحيران – حسب ترتيبهم العمري – لا بد أن يقرأ الفكي معهم سورة الفاتحة.

الحيران الكبار جداً – الذين أكملوا القرآن ولكنهم لا يجيدون التلاوة، أو الذين يدرسون «الشريعة « أو النحو – يظلون في الخلوة لفترة طويلة بعد صلاة العشاء. ولكن خلاوي قليلة جداً، هي التي تقوم بتدريس هذه المواد (مثلاً: خلاوي الشايقية مشهورة بتدريس القرآن – الغبش مشهورة بالتلاوة – ام ضبان، بالقرآن – الدامر بالقرآن والنحو).

يوم الخميس يكون في العادة نصف يوم - لا يرجع الحوار للخلوة بعد الظهر. الجمعة إجازة، وهي يوم السوق، مساء الخميس والأحد تقوم الخلوة بخدمات الطريقة، مباشرة بعد صلاة العشاء. هذه المناسبة يحضرها الكبار والصغار. الصغار يتم دعوتهم، أما الكبار فإنهم يحضرون بدافع الولاء.

« الشرافة » مناسبة أيضاً مهمة في الخلوة. كلما كانت الشرافة متقدمة، ازدادت أهميتها. أولا يتم تزيين اللوح بإطار مستطيل من خشب الدوم، أو برسم « في « أعلى طرفه، و» المثال « هو عبارة عن شكل رسمي ثابت لحذاء النبي (صلى الله عليه وسلم) يتم تزيين اللوح بالعمار الأسود. ثم بالصبغة الحمراء والخضراء، ويستخدم قشر البيض لتوزيع الألوان.

يذهب الحوار صاحب الشرافة - وحده أو مع صديق أو صديقين - إلى البيوت طلباً للكرامة - وهي هدايا تقدمها الأسر أملا في التبرك. يجلب / يجلبون كل هذه الهدايا للفكي وتساهم أسرة الصبي نفسها في تقديم الهدايا، وغالباً ما تكون هذه الهدايا عبارة عن ذرة وفاصوليا وتمر. ولكن في أيامنا الراهنة حلت النقود محل تلك الهدايا. عموماً اختفت هذه الهدايا، كما بدأت الخلوة نفسها في الاختفاء.

بعد ذلك ترسل أسرة الصبي طعاماً للخلوة ويطلب الحوار صاحب الطعام بعد الأكل من الفكي إرسال الحيران لأهلهم.

الختان

لقد تحدثنا عن ختان الإناث في المقال الأول الخاص بالميلاد [٣٧]. بدأت هذه العادة في الاختفاء. ويَمارسَ الآن نوعُ مخفّفُ بديلاً من الختان الفرعوني وقد خضعت ممارسة ختان الإناث لمناقشات مستفيضة من جانب الأطباء وعلماء الاجتماع داخل السودان وخارجه. لا يمكننا هنا إضافة شئ جديد. على أي حال لم يتحدد حتى الآن الأصل التاريخي لهذه الممارسة. كلمة « فرعوني » توحي بان هذه العادة جاءتنا من مصر. ولكن – كما ذكرنا سالفاً[٣٨]. فإن التاريخ الإسلامي – على الأقل في السودان – يدل على أن هذه الممارسة عربية الأصل. الفرزدق في أحد هجائياته، كان يهجو قبيلة أسد قائلاً ؛ بأن نساءهم لم يذقن آلام الختان ؛ موحياً بذلك بأن بني أسد من أصل حقير.

أما ختان الأولاد فهو من المؤكد من أصول سامية؛ وهو يرتبط بالإسلام إذ يعتبر من « السنة »، ومن المعلوم أن السنة ترتبط بالنبي (صلى الله عليه وسلم). ختان الأولاد خضع أيضاً لعدة مناقشات. والأمر هنا أيضاً يتجاوز في إطار هذه الورقة. عموماً يربط عرب الجاهلية عملية الختان بالقمر، فهم يعتقدون بان القمر يقوم جزئياً

يوم الخميس يكون في العادة نصف يوم – لا يرجع الحوار للخلوة بعد الظهر. الجمعة إجازة، وهي يوم السوق، مساء الخميس والأحد تقوم الخلوة بخدمات الطريقة، مباشرة بعد صلاة العشاء. هذه المناسبة يحضرها الكبار والصغار. الصغار يتم دعوتهم، أما الكبار فإنهم يحضرون بدافع الولاء.

« الشرافة » مناسبة أيضاً مهمة في الخلوة. كلما كانت الشرافة متقدمة، ازدادت أهميتها. أولا يتم تزيين اللوح بإطار مستطيل من خشب الدوم، أو برسم « في « أعلى طرفه، و» المثال « هو عبارة عن شكل رسمي ثابت لحذاء النبي (صلى الله عليه وسلم) يتم تزيين اللوح بالعمار الأسود. ثم بالصبغة الحمراء والخضراء، ويستخدم قشر البيض لتوزيع الألوان.

يذهب الحوار صاحب الشرافة – وحده أو مع صديق أو صديقين – إلى البيوت طلباً للكرامة – وهي هدايا تقدمها الأسر أملا في التبرك. يجلب / يجلبون كل هذه الهدايا للفكي وتساهم أسرة الصبي نفسها في تقديم الهدايا، وغالباً ما تكون هذه الهدايا عبارة عن ذرة وفاصوليا وتمر. ولكن في أيامنا الراهنة حلت النقود محل تلك الهدايا. عموماً اختفت هذه الهدايا، كما بدأت الخلوة نفسها في الاختفاء.

بعد ذلك ترسل أسرة الصبي طعاماً للخلوة ويطلب الحوار صاحب الطعام بعد الأكل من الفكي إرسال الحيران لأهلهم.

الختان

لقد تحدثنا عن ختان الإناث في المقال الأول الخاص بالميلاد [٣٧]. بدأت هذه العادة في الاختفاء. وتمارسَ الآن نوعُ مخفّفُ بديلاً من الختان الفرعوني وقد خضعت ممارسة ختان الإناث لمناقشات مستفيضة من جانب الأطباء وعلماء الاجتماع داخل السودان وخارجه. لا يمكننا هنا إضافة شئ جديد. على أي حال لم يتحدد حتى الآن الأصل التاريخي لهذه الممارسة. كلمة « فرعوني » توحي بان هذه العادة جاءتنا من مصر. ولكن – كما ذكرنا سالفاً[٣٨]. فإن التاريخ الإسلامي – على الأقل في السودان – يدل على أن هذه الممارسة عربية الأصل. الفرزدق في أحد هجائياته، كان يهجو قبيلة أسد قائلاً ؛ بأن نساءهم لم يذقن آلام الختان ؛ موحياً بذلك بأن بني أسد من أصل حقير.

أما ختان الأولاد فهو من المؤكد من أصول سامية؛ وهو يرتبط بالإسلام إذ يعتبر من « السنة »، ومن المعلوم أن السنة ترتبط بالنبي (صلى الله عليه وسلم). ختان الأولاد خضع أيضاً لعدة مناقشات. والأمر هنا أيضاً يتجاوز في إطار هذه الورقة. عموماً يربط عرب الجاهلية عملية الختان بالقمر، فهم يعتقدون بان القمر يقوم جزئياً

الكبار ضد القبائل الأخرى.

يقوم الأقرباء والجيران وأصدقاء المختون بتقديم الهدايا. يصل الأمر أحيانا إلى مطالبة البعض بإقامة حفلة « مغرم « أي دفع الغرامة. هذا الحفل يقام في حفلات الختان الكبرى. في أيامنا الحديثة هذه يوضع طبق كبير ليضع الناس فيه مساهماتهم المالية... ويقف شخص ليعلن بصوت عالٍ قدر المساهمة، ثم تنطلق الزغاريد. تطورت هذه العادة بحيث يعلن الأب عن عزمه ختان ابنه عن طريق إرسال بطاقات تدعو الناس إلى حضور الوليمة المقامة بهذه المناسبة، يحضر الناس ويدفعون مساهماتهم المالية والتي تسجل في دفتر يحتفظ به الوالد، ليسدد للمساهمين ديونهم، عندما تكون لهم مناسبة مشابهة.

وهكذا يجمع الوالد مبالغ كبيرة، هذا الأمر دفع لظهور حالات احتيال حيث يقوم البعض بإقامة حفلات وهمية يجمعون بها المال ويهربون. وقد شهدت العاصمة العديد من الاحتيالات هذه. وهذه هي أحد مظاهر الانحطاط حيث أصبحت العادات الشعبية مادة للاحتيال.

الأكل

ما زالت الذرة هي الطعام الأساسي للسودان النيلي، الخبز
دقيق كالاتي: أولا يتم نقع الذرة في الماء، ثم يوضع على « المرحاكة
ويسحق بقطعة حجرية تسمى « الموشان » تسمى هذه العملية
الدريش » المرحلة الثانية هي « الطحين » - تقوم بالطحين، البنات،
زوجات والإماء (أن وجدن) تنحني المرأة على ركبتيها بجانب
حجر وتبدأ في الطحين برش الماء على الدقيق، وفي النهاية يتم
تاج عجين لين قليل الكثافة.

هناك طرق أخرى لعمل العجين، ولكنها تمارس في غرب السودان
الأسر التي لديها أرقاء هي التي تستخدم « الفندك » بديلاً للطحن
ستخدام الماء. و« الفندك » يفصل اللب الأبيض من القشرة وبهذا
كون الدقيق شديد النعومة. « والفندك » هذا جلبه سكان دارفور
ن نيجيريا المسلمة وما زال في السودان بعض النيجيريين الذين
ستخدمون « الفندك ». ففي كسلا على سبيل المثال - ما زال « الفندك
» يعمل بجانب الطواحين الحديثة ومازالت النسوة النيجيريات في

كسلا، يأخذن الذرة لجعلها طحيناً يبعنه أو يستخدمنه لأغراضهن الخاصة.

يُخَمَّر الطَّحين الذي تصنع منه الكسرة عن طريق صب ماء وقليل من النشا والذي يتنج من غلي الذرة. والذي يسمى « المديدة». الخبز يتم على موقد مسطح هو « الدوكة « (الكلمة ليست عربية)، وهي موقد مصنوع من الحجر أو الطين المحروق، الآن تستخدم قطعة مسطحة من الصلب. العجين المختمر يأخذ شكل العصيدة، تصب منه بعد ذلك كمية صغيرة على « **الدوكة** « حيث يتم تحريكها باستخدام، « **المكمامة** «. تتحرك المكمامة ذهاباً وإياباً كي تخبز قطعة الكسرة. وهي قطعة رفيعة جداً من الخبز. مؤخراً ولتطوير صناعة الكَسرة دخلت في أواخر العهد التركي المصري «**القرقريبة**». وهي قطَعة يبلغ طولها حوالي ست بوصات، تقطع من الجانب السفلي لفروع شجرة الدوم تصنع، الكسرة في صاج من الصلب يتّخذ شكلاً مستطيلاً، ويتم لف القطع مع بعضها البعض حتى تصبح «لفة». أصبحت هذه اللفة جزءاً أساسياً من المائدة السودانية، والتي أصبحت تتّخذُ شكل الطبيخ «المصري «.

تؤكل الكسرة مع اللبن أو « الروب « أو بالماء، وأحيانا يضاف للماء ملح وشطة وبصل. هذه الوجبة فقيرة – بالطبع -. ولكن كانت كل الأسر السودانية في السابق تتناول هذه الوجبة – على الأقل مرة واحدة في الأسبوع -. وهناك وجبة أكثر ثراءً وهي أن يتم تحمير البصل بزيت السمسم ثم يضاف للكسرة والماء. هذه الوجبة تسمى «كُشنة».

أحيانا يخبز هذا العجين المختمر في شكل خبز يسمى « مطالا »، ويؤكل مع اللبن أو الكُشنة» أو مع أي ملاح آخر.(سنتكلم فيما بعد عن بعض أنواع « الصلصة).

أحيانا يتم خبز العجين غير المختمر بنفس طريقة الكسرة، ويسمى « فطيراً «
(الكلمة تعني غير مختمر)، والفطير غالباً ما يصنع من الذرة الشامية. القمح - إذا وُجِدَ - هو أحسن الحبوب لصناعة الفطائر والتي تعتبر نوعاً من أنواع الحلوى.



أحيانا تبل الذرة بالماء، وتترك حتى تخرج منها براعم، ثم تتخمر

لتصبح « زريعة ». طحن هذه الزّريعة وعجنها يعطينا « الآبري الأحمر »، وهو مشروب لذيذ الطعم.

ثم هناك نوع آخر من خبز المطالا، شبيه في لونه وطعمه بخبز الجاودار الألماني، وهو يسمى « مطالات الكار ». اختفى هذا النوع من الخبز تماماً، وقد يوجد فقط في مناطق الدامر وشندي وفي ارتول، وأحيانا عند الشايقية والدناقلة.

« العصيدة » تصنع أيضا من دقيق الذرة المخمر، ولكن العصيدة الحالية لا تمت بصلة للسودان النيلي. وكذلك « التقلية »، (وهي عبارة عن صلصة البصل واللحم). وهناك عصيدة أخرى تصنع من الدخن، وهي تؤكل باللبن، ويقال أنها مفيدة للصحة.

حبوب الذرة الجديدة تُغلي في النار ويتم أكلها مباشرة بدون أي إضافات. هذا النوع من الذرة الجديدة يسمى « الفريك ». ويتم أحيانا غليه مع إضافة قليل من السكر والسمن. هذه الوجبة تبدو جديدة نسبياً، بعد انتشار السُّكّر في الحكم الثنائي

« البليلة » تصنع أيضاً من الذرة (تكلمنا عنها سابقاً). أكثر أنواع البليلة انتشاراً، والتي تعتبر الوجبة الثانية البديلة للكسرة، هي التي تصنع من « لوبه عفن » (الفاصوليا الحمراء). يضاف إليها أحيانا البصل والملح، وأحيانا السمن والتمر. هناك بدائل لهذه الوجبة وهي « اللوبه الطيب » أو « اللوبه العدسي ». في الشتاء تطبخ اللوبه الخضراء لتصبح « لوبيا » (هي اللوبيا الناشفة المغلية). وهي تسمى « الفساخ ». الآن تقدم البليلة في فطور رمضان، وهي عادة ما زالت تمارس في جنوب بلاد الشايقية. أحياناً يتم تحمير حبوب البطيخ

وتسمى « الجرم » أو «التسالي ». عادة أكل التسالي وهي استخلاص اللب من القشرة قد أتانا من مصر.

« التُرمس » هو نوع من الحبوب ذات طعم مر. يتم غلي هذه الحبوب وتركها لتختمر قليلاً ثم تؤكل مع التمر. التُرمس والتمر ولحم الدجاج تؤكل لعلاج كسور العظام.

بجانب البليلة تصلح الحبوب لصناعة الشوربة مع الصلصة لتؤكل مع الكسرة. ويُعـــدُّ القمـحُ نـوعـاً مـــن التحلية في كل مناطق السودان النيلي، ما عدا منطقة الشرايك في الشمال، حيث يستعمل القمح في صنع الكسرة بديلاً عن الذرة. في باقي مناطق السودان الأخرى يستعمل القمح لصنع الفطائر.

في دنقلا تُخـمَّـــر حبوب القمح (وأحيانا الشعير) بنفس طريقة الفريك.

الملاح

الملاح هو مرق اللحم ويؤكل مع الكسرة بالأيدي مباشرةً: الطبق الذي توضع فيه الكسرة مصنوع من الخشب.والأسر الثرية تستعمل أطباقاً نحاسية. وهناك إطباق خشبية خاصة تسمى « دبكار » تستخدم في المناسبات الخاصة: الاحتفالات الدينية والمناسبات الخاصة مثل حفلات الختان والزواج.

هناك ثلاثة أنواع من الملاح « ملاح بالخضار »، باللبن الرائب وباللحم. والملاح باللحم هو أندر وأغلى أنواع الملاح. أكثر أنواع الملاح استعمالاً، هي: ملاح البامية، والبامية تستعمل طازجة وجافة.

البامية الطازجة تسمى « ويكة وهي تقطع أجـــزاءً صغيرة، تُغلَى في الماء ويضاف إليها الملح والشطة وبعض البصل. وتسمى هنا «مفروكة « ومصدرها عربي (فرك = ضرب). وتوضع البامية على إناء من الطين المحروق يسمى « الكنتوش «. وتسمى العصا التي يخلط بها الملاح « **المفراكة** «. وأحيانا يصنع هذا الملاح بخلط البامية مع أوراقها وتسمى عندئذ « السفروق «. ملاح « الملوخية « يصنع من أوراق الفاصوليا وأحيانا من ورق اللوبيا (الأخيرة منتشرة وسط الشايقية والرباطاب). ويستخدم العطرون لجعل الملوخية أكثر لزوجة واخضرارا. وقد أصبحت تضاف مُؤخراً بضع قطرات من الشاي تـــؤدي نفـــس المفعول. كل أنواع الملاح تُعـدُّ من الوجبات الرخيصة. ومن المفترض أن يحل الخضار الطازج محل اللحم. وتتنوع الخضروات حسب مواسمها. مثلاً: يستعمل أحيانا ملاح « الشمار « بديلاً للملوخية.

الملاح الأكثر شعبية هو ملاح البامية الجافة. تُغلَى البامية الجافة ويضاف إليها البصل ويضاف إليها أحيانا بعض الزبد وهي تسمى « **أم شعيفة** « (والكلمة تعني حرفياً المرأة ذات الشعر المنكوش)، مما يعني بان هذا الملاح فقير جداً. حتى إضافة الزبد لهذا الملاح لن يزيد من قيمته، ولهذا جاء المثل (أم شعيفة كي المره الضيفة) وهو يعني بان تقديم أم شعيفة للمرأة الزائرة يماثل كيها بالنار « **ام كشاتين** « وهو الاسم الساخر للملوخية الناشفة. بجانب الخضروات المذكورة، هناك أيضا خضروات أخرى مثل « **لسان الفاير** «، « **التمليكة** « و«**الكجلة** «، وهي خضروات برية وموسمية تنمو في فترة الخريف –

الطماطم يستخدم أيضاً أيضا ملاحاً ، ويضاف إليه البصل وأحيانا اللحم، ولكن يبدو أن الطماطم ظهر قبل فترة وجيزة من المهدية، وأصبح استعماله عادياً في فترة الحكم الثنائي. هناك أيضاً نوعان من القرع. النوع المحلي والذي اختفى مؤخراً تماماً أما النوع الثاني ويسمى القرع المصري، فهو يصنع منه ملاح باللحم أو بدونه، ولعله قد جلبه معهم المصريون في فترة الحكم الثنائي. كل أنواع الحبوب البقولية يصنع منها ملاح، أولا يتم سحقها ثم تجهيزها في شكل شوربة كثيفة. لم تكن الفاصوليا معروفة في السابق. كانت « اللوبيا الطيب » و« اللوبيا العدس » تصنعان بليلةً أكثر منها ملاحاً. الملاح في الغالب كان يصنع من « **لوبا عفن** ». تسحق اللوبيا، ويتم تجهيزها حساءً كثيفة بالبصل والبامية، ويسمى هذا الملاح «البربور» هناك مثل يقول: « البربور ملاح التور »، مما يعني بأن له قيمة غذائية عالية.

العدس والفول المصري جلبهما الحكم الثنائي، وكان هذان الصنفان يشكلان الوجبات الرئيسية في داخليات الطلاب، وما زالا كذلك حتى يومنا.

من اللبن يصنع « **ملاح الكورة** ». يخلط الدقيق باللبن الرائب وتصنع منه حساء. يضاف له السمن الصافي - إذا توفر – ليعطيه طعماً ونكهة ألذ ويؤكل مع الكسرة أو العصيدة. الآن أصبح هذا الملاح من مواد التحلية ويؤكل مع العصيدة البيضاء أي « اللقمة ».

اللحم، كما يقول المثل الشعبي هو: « سيد المائدة ». الآن أصبح سكان المدن بجميع طبقاتهم يأكلون اللحم يومياً، ولكنه كان حتى

فترة ليست بالبعيدة نادر الوجود. هناك مثل عربي يقول:» من يأكل اللَّحم لمدة أربعين يوماً متواصلة يقسو قَلبُه «. يقال هذا المثل من دافع الحسد للأثرياء الذين يأكلون اللحم طوال أيام الأسبوع. الكثير من الناس ينتظرون الكرامة حتى يأكلوا اللحم. انتظار الكرامة ظاهرة منتشرة أكثر من » أيوب « (وهو الرغبة في شراب اللبن)، لأنَّ أي أسرة لديها على الأقل معزة واحدة في البيت.

تُجهَّزُ اللحوم بطريقتين: اللحوم المحمرة واللحوم المطبوخة (وأحيانا تطبخ اللحوم وهي محمرة). الشواء لم يكن معروفاً في السودان النيلي. والآن يمارس شواء اللحم في شرق السودان إما بوضع الحيوان على النار الملتهبة، أو بوضع اللحم على أحجار جمرية. وقد تعلم هذه الطريقة سكان السودان النيلي المجاورة لقبائل البجة، ولكنهم لا يستخدمونها كثيراً وذلك لندرة اللحم. أما » الشية « وهي القطع الصغيرة من اللَّحم التي تشوى بالنار، فهي تعتبر من أطعمة » السكارى «. وذلك لان الناس يعتبرون هذه الطريقة إهداراً للَّحم وحيث إنَّ تحمير اللحم هو الطريقة المنتشرة في السودان النهري.

بجانب عيد الأضحى ومناسبات الزواج وغيرها يتم الحصول على اللحم من » الكرامات « أي النذور. حيث لم تكن هنالك محلات للجزارة، كان الناس يتشاركون حيث يشترون الخروف ويذبحونه ويقتسمون لحمه. كان الخروف يذبح نذراً لله أو لولي من أولياء الله، أو لمناسبات أخرى مثل الشفاء من مرض عضال أو الولادة، الختان، الزواج أو احتفال الأسرة بأي مناسبة سعيدة أخرى. وذبح الخروف بدون أي مناسبة ولمجرد الاستمتاع يسمى أيضاً كرامة حتى لا يقال

بأنه ترف لا مبرر له. يقسم اللحم أكواماً توزع على كل المشتركين كل كوم يحتوي على قطع صغيرة من الكبد والكلى والأحشاء. أما الجلد والرأس فيوضعان في مكان منفصل ويأخذهما الجزار المحترف الذي قام بعملية الذبح وذلك أجراً لعمله.

وفي اعتقادي أنَّ عادة أكل «المرارة » نتجت من تذوق الكبد والأحشاء التي توضع في الأكوام.

المرارة أيضاً تعتبر من الوجبات الشهية للسكارى. ثم بعد ذلك أصبحت

« الشية » من الوجبات الشهية لكل الناس. الرجال لا يأكلون الطوحال ولكن النساء يشوينه على الفحم.

يغلى كوم اللحم في الماء مع أو بدون البصل، ثم يؤخذ اللحم منفصلاً من المرق ويتم تحميره بالسمن والبصل ويسمى هذا « اللحم المحمر »، وهو يعتبر لحم اللحوم.

بعد ذلك تنثر الويكة على المرق وتسمى « أم رقيقة »(لأنه ملاح رقيق يختلف عن « أم شعيفة). تصب أم رقيقة على الكسرة وتوضع اللحوم المحمرة على قمة الطبق، ثم يوضع الطبق في « برطل» – وهو سلة مصنوعة من أوراق الذرة ومصبوغة بالألوان المختلفة لتتخذ شكلاً زاهياً ـ أغلب هذه الأطباق يتم تصنيعها في دنقلا ودارفور وأسعارها عالية نسبياً. تغطى المائدة بعدئذ بـ « طبق »، او غطاء يشبه طاقية القلاح الصيني. « الطبق » أصغر من «البرطل» وأقل منه متانة، ويباع في محطة السّكة الحديديّة في « المحمية ». يجلس الأب وضيوفه على المائدة. يبدأون بأكل الكسرة أولاً، إذ إنَّ البداية باللحم

يعتبر سلوكاً غير مهذب وكُلّما جفّت الكسرة ؛ زيدت أم رقيقة.
تعتبر هذه الوجبة شهية وهي أشبه بوجبة الأحد الأوروبية.
عند انعدام السمن البلدي – أو حتى من اجل مجرد التغيير – تضاف البامية الخضراء للملاح ليتم خلطها حتى تصبح «مفروكة».

اللحم المجفف

عندما يُذبحُ ثور أو عجل – يُقَطّعُ جزء من لحم الفخذ إلى شرائح ويعلق على سلة مربوطة في السقف «المشلعيب» ليتم تجفيفه وبحيث يكون بعيداً عن متناول القطط. يسمى هذا « شرموط » – والكلمة البذيئة «شرموطة» مستمدة من هذا النوع من اللحم. يطبخ هذا اللحم بالبامية الجافة ويسمى «ملاح الشرموط». هذه الوجبة منتشرة، وهي بمثابة تعويض عن انعدام اللحوم خلال السنة. ويلاحظ أنّ كمية اللحم المستخدمة في هذا الملاح تكون قليلة جداً.

في دار فور يُسحق الشرموط سوياً مع البصل الجاف والويكة بحيث يتم الاحتفاظ به لمدة طويلة، ويأخذه معهم المسافرون زاداً لهم في درب الأربعين المؤدي الى مصر. كما يأخذ المسافرون معهم لحماً طازجاً مغطى بالعسل ومحفوظاً في إناء جلدي يسمى «السعن».

اللحم المجفف مع الويكة والبصل، أصبح طعاماً مفضلاً في المدن ويسمى « التقلية ». ويؤكل عادة مع العصيدة. وطعمه لذيذ جداً إلى درجة أن الطلاب السودانيين الذين يدرسون في الخارج يطلبون إرساله لهم معبأ في علب. ويقدمونه لأصدقائهم الأوروبيين باعتباره من لذائذ الشرق.

الضبيحة

في عيد الأضحى حيث تنحر الخراف، يتم تحمير اللحم وتجفيفه بعد ذلك ليكون موجوداً لاطول فترة ممكنة وكلما كان الخروف سميناً طالت فترة بقاء اللحم وما زالت هذه العملية تمارس حتى الآن.

يتم أيضاً الاحتفاظ باللحم ويصنع منه دهن تستعمله النسوة للزينة ويقال إنّه يجعل الشعر ناعماً. أما قطع الشحم الصغيرة فيتم تحميرها وتجفيفها وتسمى «ربيت»، وهو يؤكل لمجرد الاستمتاع وليس الشبع.

أما رأس الخروف فيتم طبخه منفرداً. يوضع الرأس أولاً على النار حتى يسهل سلخه، ثم بعد ذلك يتم غليه في الماء وهو يسمى «النيفة».

الطبيخ

الطبيخ أصبح في السودان نوعاً من اليخني – طبق يصنع من خليط من اللحم والبصل والسمن وعصير الطماطم – وأحيانا الخضروات. ومصادر الطبيخ في السودان هي مصر وتركيا. تعلمت زوجات الأفندية السودانيين عمل الطبيخ من زوجات الأفندية المصريين، ثم انتشر الطبيخ ليعم كل أنحاء السودان، ولكن حتى أواخر عقد الثلاثين (ثلاثينيّات) القرن التاسع عشر، لم تكن القرى السودانيّة تعرف الطبيخ.

ما كان يعرفه السودانيون من قبل هو اليخني. وهذا يتم عن طريق تحمير اللحم مع البصل والسمن أو الزيت، ثم يضاف إليه الماء

وهذه تسمى «دمعة»، وأحيانا تعتبر مُلاحاً. وإضافة الدقيق للدمعة تعني انه أصبح يخني.

الآن في كل بلدان الشرق الأوسط يوجد طبيخ البامية، الفاصوليا، وباقي الخضروات الأخرى.

وكان السودانيون يميلون إلى الإكثار من السمن واللحم والبهارات. مثلاً الملوخية السودانية أكثر كثافة من الملوخية المصرية. وكذلك البامية السودانية ألذ من البامية المصرية، لوجود الصلصة في البامية السودانية. ولكن يبدو أن ثراء الطبيخ السوداني بالمواد، أصبح عاملاً في زيادة أمراض سوء الهضم. وقد قامت بالفعل مناقشات طبية حول مدى مناسبة الطبيخ للطقس السوداني.

الحلويات

كان السكر بضاعة نادرة. ولكنه أصبح الآن في متناول الجميع بحيث أصبح من أكبر مواد الصرف في ميزانية البيت السوداني.

في الأيام السابقة كانت الفاكهة الطازجة هي فقط: التمر، البطيخ، النبق، اللالوب، والدوم وكانت الفاكهة الحمضية نادرة الوجود. حتى الليمون لم يكن موجوداً وعند ظهوره كان يعتبر دواءً طبياً ويستعمل كترياق ضد السموم. النبق (نبات شجر السدر)، الحميك (نبات شجر الطندب)، والدوم (ثمر نوع معين من النخيل)، هذه الفواكه البرية هي التي كانت موجودة في السودان.

العسل والتمر هي أكثر المواد السكرية انتشاراً وكان الحصول على التمر بالذات أمراً شديد السهولة. كان العسل يستخدم لأغراض طبية وأحيانا يخلط بالماء ليصير عصيراً.

الحلوى الرئيسية كانت هي التمر، إما منفرداً أو مع الفول السوداني. عادة تمليح الفول السوداني اكتسبها السودانيون من المهاجرين النيجيريين والذين استقروا في العديد من أنحاء السودان. في السابق كان الفول السوداني يقدم مع البلح في عيد رمضان. للضيوف خاصّة الأطفال.

التمر يؤكل أيضاً مع البليلة – كما ذكرنا سالفاً – وأيضا مع شراب القهوة، والتي كانت المشروب الساخن الأول – قبل أن يحل الشاي محلها.

هناك طبق حلوى يصنع من التمر، حيث يسحق ويخلط بالدقيق. (وقد تحدثنا عن ذلك في الجزء الخاص بالميلاد). تسمى هذه الحلوى «**مديدة التمر**».

يصنع من دقيق القمح ثلاثة أنواع من الحلوى وكلها تتم تحليتها بالتمر:

«**اللقيمات**»، «**الكعك**» و«**القراصة**». اللقيمات كانت هي المفضلة، وكانت تقدم في المناسبات والكرامات الخاصة. عجينة اللقيمات يتم تخميرها ثم بعد ذلك طبخها.

يسحق التمر وتضاف إليه عجينة اللقيمات والتي تقطع إلى قطع صغيرة. يتم عمل « الكيك « و« القراصة « بنفس الطريقة. الكيك يأخذ شكل الصليب ويحتوي على السمن وعصير التمر. في القراصة يتم تكسير التمر إلى قطع صغيرة، وتكون قطع القراصة مستديرة وكبيرة نسبياً. القراصة تؤخذ زاداً للحجاج المسافرين لمكة. أصبح مؤخراً يضاف للقراصة السكر.

الفطير هو الكسرة المصنوعة من عجين غير مختمر وأحسن

الفطائر هي المصنوعة من الذرة الشامي. والفطير لا يمكن صنعه بدون « السكر. يقول بيركهارد (١ ١ ٩ ١) بأنه أكل في الدامر شيئاً يشبه الفطائر، ويقول بأن هذه الفطائر جلبت من مصر.

هناك أنواع متقدمة من الفطائر، مثل: « الفطير المشلتت »، « الكنافة » و« المشبك »، وهذه الأنواع لم يعرفها السودانيون إلا بعد الحكم الثنائي. ويقال إنَّ زوجة فوزي بك الذي كان يعمل في سجون المهدية قد صنعت طبقاً من الكنافة ».وقدمه هدية للخليفة، ظلَّ يطلب هذه الكنافة باستمرار، مما أرهق فوزي بك وزوجته في الحصول على الدقيق والسمن والسكر.

كانت « الشعيرية » معروفة في المديرية الشمالية منذ أواخر القرن الثامن عشر، ثم انتشرت بعد ذلك في كل أنحاء السودان. وهي في العادة تقدم في « فطور العريس » في اليوم التالي لحفل الزواج « الصبحية » وسنتحدث عن صناعة الشعيرية في الجزء القادم الخاص بالزواج.

« الأرز باللبن » عرفه السودانيون بعد الحكم الثنائي. سابقاً كانت شوارع الخرطوم وأم درمان مملوءةً بباعة اللقيمات وقد اختفت هذه الظاهرة الآن.

الدهون

السمن والزبد يُعدّان من أحسن أنواع الدهون في الشرق، ووجودهما في الأسرة يعد رمزاً للثراء. ويصنع السمن في السودان من اللبن المتخثر، ويتم رجه في «السعن» حتى يتجمع الزبد في مدخل « السعن ». هذه طريقة تقليدية، نجد وصفاً لها في الشعر الجاهلي.

وما يتبقى من اللبن يسمى « الروب » وهو شراب جيد يطفئ العطش ويشرب بعد الوجبات الخفيفة. وأحيانا يؤكل مع الكسرة. وأحيانا يضاف له الماء ليصبح « غباشة » صالحة للشراب ولكن لا يصح تقديمها للضيف.

بعض الزبد يقدم للأطفال، ولكن الجزء الأكبر يحتفظ به ليتحول إلى سمن. الرجال الأثرياء - خاصة زعماء القبائل الجبابرة - يتناولون الزبد مخلوطاً بالعسل ويقال بأنه محرك للباءة.

السمن يستخدم لتحمير اللحم، ويقال إنّ للسمن فوائد طبية. الأثرياء يضيفونه للقراصة والتي تعتبر وجبة شهية. ولكن اتضح الآن بأن استعمال السمن يؤدي إلى عدة إصابات بالمرض مثل سوء الهضم ومتاعب القلب. وضغط الدم.

زيت السمسم هو أكثر استعمالاً في الطبخ. وأحيانا يمسح به الجسم، ويقال بأن له فوائد طبية وبالذات في علاج آلام المفاصل. النساء يخلطن عجين الذرة بزيت السمسم وبعض العطور ويمسحن به أجسامهن جرياً وراء نعومة البشرة.

الشحم الحيواني لا يصلح للطبخ، اللهم إلا عند طبخ الذبيحة بشحمها كما يحدث في عيد الأضحى. يحتفظ بالشحم لاستعماله بهدف نعومة الشّعر. عندما يخلط هذا الشّحم بخشب الصندل وبعض العطور الزيتية مثل المحلبية، نتحصل على «الكركار» وهو مرهم عطري تستعمله نساء السودان النهري. صناعة الكركار والعطور الأخرى سنتحدث عنها في الجزء القادم.

يستخرج من عظام الحيوان أيضاً « زيت المز » وهو يستعمل أيضاً للتجميل.

أما الفول السوداني، والجوز وبذرة القطن لم تكن زيوتُها معروفة في السابق، وأصبحت الآن تستعمل مع السمن في عمليات الطبيخ.

كيفية تقديم الطعام

غرفة الطعام كانت غير معروفة في السودان. كانت المائدة السودانية توضع على « البرش »، بل كان النّاس يجلسون مباشرة على الأرض لتناول الطعام. وهذه العادة لم تختف تماماً. ويمارسها الآن بعض المتعلمين إما حنيناً لحياتهم السابقة، أو إظهاراً للكرم العربي.

يحمل الطبق « **الدبكار** » المملوءة بالكسرة واللحم على «**برطل**» ويغطي بطبق كبير، هذا بالنسبة للأسرة وحدها، أو إذا كان عدد الضيوف قليلاً، أما إذا كان العدد كبيراً، فإن «**الدبكار**» يغطى بطبق خاص، ويحمل على الكتف. في بيوت زعماء القبائل الجارية هي من يحمل هذه الدبكار. أما في الخلوة فيحمله أحد الجيران.

الآن حلت آواني النحاس والصيني محل الدبكار. وتوضع الكسرة على الطبق النحاسي (الآن يستخدم الألمونيوم)، يأخذ الضيف قطعاً صغيرة من الكسرة،و يغمسها في الطبق مستخدماً يده اليمنى وباستعمال أقل عدد ممكن من الأصابع.

يقدم الطعام للرجال أولاً، ثم النساء الضيفات، ويأكل الأطفال ما تبقى من الطعام.

في حفلات الزواج يقدم الطعام بنفس الترتيب وتسمى عملية تقديم الطعام «الكفاية ».

الرجل إطلاقاً لا يأكل مع زوجته. يأكل الرجال في الأسرة الكبيرة معاً

(الجد، الأب، الأعمام، الأحفاد الكبار). في الأسر الصغيرة يأكل الزوج وحده أو يأخذ طعامه ليأكل مع الجيران. وأحيانا يتجمع كل رجال القرية في مكان مخصوص للأكل ويسمى الخلوة. وإذا عبر [illegible]

نصيب الأطفال من الأكل هو دائماً الأقل ويأتي دورهم في الأكل بعد النساء. الرجل العطوف يهتم باليتامى وغالباً ما يدعوهم للأكل مع الكبار. وهذا ما يدعو له القرآن « أما اليتيم فلا تقهر ».

الزواج

سأحاول هنا وصف بعض عادات الزواج في شمال السودان النيلي، وسأجعل بعض ملاحظاتي الخاصة من خلال تجربتي الشخصية وذكرياتي، وأيضا من خلال المعلومات التي أفدتها من بعض المصادر الأخرى. كان عمري ثلاث سنوات (١٩٢٤)، عندما أخذتني أمي لحضور زواج أخيها. ما زلت أذكر منظر خالي وهو يلبس عقداً موشى بالخرز، وكان يرفع يده أمام شخص كان يقف بجانبه كانت الغرفة مضيئة وفي منتصفها يقف عمود من شجرة الدوم[٣٩]. وكان جمع كبير من الناس يجلس بجوار والدتي، وقد كنا نجلس – كما أتذكر – على دكه عالية.

منطقة شمال السودان الحالية، هي بالضبط المكان الذي كانت توجد فيه مروي القديمة وكوش وإثيوبيا الإنجيلية. وما زالت بعض الملامح الإثنية – مثل الشلوخ – تربط السكان بأسلافهم، مع بعض العادات والممارسات الطقسية القديمة. مثلاً يزور العرسان الجدد النيل في اليومين السابع والأربعين وأياديهم مملوءة بالقمح والتمر، ولا زالوا يمسحون وجوههم بماء النهر ويغمسون أرجلهم داخله. ولا زال النوبة في شمال السودان، يجهشون بالبكاء في قمة الاحتفال بالعرس وهم

يتذكرون أقرباءهم الذين ماتوا ويأسفون لأنهم لم يحضروا هذا الاحتفال. هذه في الغالب بقايا العادات الفرعونية القديمة حيث كان الفراعنة يجلبون موميات موتاهم لحضور حفلات الزواج، والولائم. وفي بعض قرى النيل الأزرق وبالقرب من الخرطوم تتجمع وصيفات العروس ويقدمن لها دموعهن محفوظة في قارورة [٤٠].

الخطوات الأولى: من الخطوبة وحتى الزواج

يتم التجهيز للزواج في دائرة الأسرة وأقرب الأقرباء؛ الخالات والعمات لهن الصدارة، ثم باقي أفراد الأسرة، بالنسبة لأبناء العم أو الخال المرشحين للزواج؛ تستخدم كلمات (ود أمي وبت أمي)، والزوجة المحترمة لا تذكر اسم زوجها، وتناديه « يا دا.... « او يا أنت... «، وتشير إليه قائلة: « داك « أو « أبونا «. وعلى الرجل كذلك ألا يذكر اسم كنته، قبل الزواج ويتحاشى أيضاً لقاءها، وهو يعمل على تغيير مسيرته إذا رآها في الطريق العام.

الفتاة الصغيرة عندما تركع في المرحاكة [٤١]. لطحن الذرة لغذاء اليوم، فهي تنعش نفسها بتخيل ابن عمها « ود أمي « وقد عاد من رحلة تجارية ناجحة أو أهدي لها هدايا قيمة

(زوجته القادمة)، ولذلك فهي تغني أثناء الطحين:

يمه حكحكي القرعات[٤٢]

ود عمي جاب فرخات

في بداية القرن العشرين تم إلغاء الرق، وسادت علاقات اجتماعية جديدة أثناء الحكم الثنائي. أولا ظهرت الوظائف الحكومية، ثم

الله فوق صنقوره

باخذ الصبي ساكت حنجوره

وهناك أغان حديثة في هذا الصدد. مثلاً:

الشايب ده

الله بيني وبينه

تطير الابرة وتقد له عينه

العمر المتوسط للزواج يتراوح ما بين الثامنة عشر والعشرين للرجال، وللبنات من سن الثالثة عشر وحتى أصغر من ذلك. بعضُ الأسر ترفض تزويج البنت لمن ليس من الأسرة، مما أدى إلى انتشار ظاهرة العنوسة. «السعلوه»، التي نجدها دائماً في الأحاجي السودانية، وقد لا تكون أي شئ آخر سوى خادمة عجوز تتجاوز السبعين من عمرها تعيش وحدها وتكون معزولة عن الناس. من ضمن الكلمات التي تعلمتها من جدتي لوالدتي هي:

بت العشرين من الحور العين

بت الثلاثين تسر الناظرين

بت الاربعين بنات وبنين

بت الخمسين يشاورها العارفين

بت الستين عجوز في الغابرين

بت السبعين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

ونتيجة للحضارة الجديدة والتعليم الحديث، أصبحت الأسر تقبل تزوّيج بناتهن من الأفراد الذين لا ينتمون للأسرة ولا – حتى – للقبيلة. الآن يتعارف الشباب من الجنسين في الجامعات والمؤسسات

المشابهة، ويعقدون صداقات بينهم، ثم بعد ذلك يتم الزواج. ويوافق الوالد والأقرباء من كبار السن على الخطيب بعد أن يقوموا بتحريات سرية حول وضعه المادي، مستقبله المتوقع وأصوله العرقية. انتهى المفهوم القبلي للزواج وحل محله نظام اجتماعي جديد، نتيجة للتغيير الاجتماعي. في الماضي نادراً ما يقبل الخاطب من خارج القبيلة إذا لم يكن متزوجاً من قبل. أما الزوجة الثانية فيمكن أن تكون من خارج القبيلة. يمكن زواج الأرملة أو المطلقة أو العانس من خارج القبيلة.

الخطوة الأولى في الخطوبة هي أن يأخذ الخاطب أقرباءه إلى منزل الخطيبة. يسمى هذا « قولة خير « أو « فتح الخشم «. يحضر أهل الخاطب معهم حلي ذهبية وملابس للخطيبة. بعد ذلك تتعدّد الزيارات المتبادلة بين الأسرتين بهدف التعارف وتوثيق الصلات. وتتبادل الهدايا أيضا مثلاً تقدم لأم العروس، ثوب، ولوالده عمامة وطاقية مطرزة. أحيانا يقام حفل خطوبة رسمي، ويقام هذا الحفل إذا كانت فترة الخطوبة ستمتد إلى وقت طويل.

ولكن حفل « الخطوبة « هذا غير مستحب، إذ قد يحدث أن تفسخ الخطوبة في هذه الفترة، وهذا أمر مزعج ويجب تفاديه.

سد المال

في الأصل « سد المال « هو المبلغ الذي يدفعه الخاطب للمساهمة في تجهيزات الزواج مثل شراء العطور أو صناعتها ، سرير النوم و«العطيفية» أي (عطاء) وهي على الأقل « أردب «[44] من الذرة،

الله فوق صنقوره

باخد الصبي ساكت حنجوره

وهناك أغـان حديثة في هذا الصدد. مثلاً:

الشايب ده

الله بيني وبينه

تطير الابرة وتقد له عينه

العمر المتوسط للزواج يتراوح ما بين الثامنة عشر والعشرين للرجال، وللبنات من سن الثالثة عشر وحتى أصغر من ذلك. بعضُ الأسر ترفض تزويج البنت لمن ليس من الأسرة، مما أدى إلى انتشار ظاهرة العنوسة. «السعلوه». التي نجدها دائماً في الأحاجي السودانية، وقد لا تكون أي شئ آخر سوى خادمة عجوز تتجاوز السبعين من عمرها تعيش وحدها وتكون معزولة عن الناس. من ضمن الكلمات التي تعلمتها من جدتي لوالدتي هي:

بت العشرين من الحور العين

بت الثلاثين تسر الناظرين

بت الاربعين بنات وبنين

بت الخمسين يشاورها العارفين

بت الستين عجوز في الغابرين

بت السبعين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

ونتيجة للحضارة الجديدة والتعليم الحديث، أصبحت الأسر تقبل تزوّيج بناتهن من الأفراد الذين لا ينتمون للأسرة ولا – حتى – للقبيلة. الآن يتعارف الشباب من الجنسين في الجامعات والمؤسسات

المشابهة، ويعقدون صداقات بينهم، ثم بعد ذلك يتم الزواج. ويوافق الوالد والأقرباء من كبار السن على الخطيب بعد أن يقوموا بتحريات سرية حول وضعه المادي، مستقبله المتوقع وأصوله العرقية. انتهى المفهوم القبلي للزواج وحل محله نظام اجتماعي جديد، نتيجة للتغيير الاجتماعي. في الماضي نادراً ما يقبل الخاطب من خارج القبيلة إذا لم يكن متزوجاً من قبل. أما الزوجة الثانية فيمكن أن تكون من خارج القبيلة. يمكن زواج الأرملة أو المطلقة أو العانس من خارج القبيلة.

الخطوة الأولى في الخطوبة هي أن يأخذ الخاطب أقرباءه إلى منزل الخطيبة. يسمى هذا « قولة خير » أو « فتح الخشم ». يحضر أهل الخاطب معهم حلي ذهبية وملابس للخطيبة. بعد ذلك تتعدّد الزيارات المتبادلة بين الأسرتين بهدف التعارف وتوثيق الصلات. وتتبادل الهدايا أيضا مثلاً تقدم لأم العروس، ثوب، ولوالده عمامة وطاقية مطرزة. أحيانا يقام حفل خطوبة رسمي، ويقام هذا الحفل إذا كانت فترة الخطوبة ستمتد إلى وقت طويل.

ولكن حفل « الخطوبة » هذا غير مستحب، إذ قد يحدث أن تفسخ الخطوبة في هذه الفترة، وهذا أمر مزعج ويجب تفاديه.

سد المال

في الأصل « سد المال » هو المبلغ الذي يدفعه الخاطب للمساهمة في تجهيزات الزواج مثل شراء العطور أو صناعتها ؛ سرير النوم و«العطينية» أي (عطاء) وهي على الأقل « أردب »[٤٤] من الذرة،

مع كمية كافية من التمر والقمح وعجل سمين يكفي لإقامة الوليمة وحوالي ٥ أو ٤ كباش.

سد المال لا يشمل « مهر « العروس، أو « الصداق «. هذا يدفع بشكل منفصل. مبلغ المهر يعلن ويسجل في وثيقة الزواج « العقد «. وهو يدفع عادة متأخراً لأنه مال العروس، ولها الحق في التصرف فيه كما تود. وهو يدفع « مقدماً « و« مؤخراً « – الأخير يدفع في حالة الطلاق.

الآن « سد المال» يعني الصداق، قد تعلن قيمته أو قد يشار إليه بـ « المبلغ المتفق عليه «. مساهمة العروس تسمى « **الدكان** «. وهو عبارة عن هدية تقدمها العروس لأهل العريس. ويكون من مواد غذائية وزبد وزيت وسكر وشاي.... الخ. الآن هناك « **الشيلة** «، وهي ترسل قبل يوم « الدخلة «. كانت العادة في القرى – وحتى أحيانا في المدن – هي أن تحمل أكبر أعضاء عائلة العريس، « الشيلة « على رأسها وهي تمضي مع العريس والأقارب لمنزل العروس لحضور « الدخلة.

تتكون الشيلة من ملابس العروس وبعض الحلي الذهبية الثمينة وبعض الهدايا لوالديها وإخوتها. مؤخراً بدأت مظاهر التفاخر وسط البرجوازيين، مثل تقديم عربة لاندكروزر جديدة مع جوالات السكر والدقيق والمواد الأخرى، أو إعطاء العروس ذهباً يماثل وزنها. في السابق أيضا كانت تقدم «**الكيفية**» وهي عبارة عن غطاء للرأس مكون من الذهب.

العَقد

وهو وثيقة الزواج والكلمة مستمدة من كلمة « عُقدة » في السابق كانت عملية « العَقد » تتم في « الخلوة ». ولكن الحكم الاستعماري خلق وظيفة « المأذون » (وهي حرفياً تعني الشخص المسموح له بكتابة عقد الزواج)، هدفت السلطة بذلك إعطاء موظفي الدولة في المحكمة الشرعية سلطات إدارية. وبهذا يتم تسجيل الزواج بصورة إدارية.

إجراءات « العَقد » مختصرة، يقرأ المأذون سورة الفاتحة. ثم يسأل كُلاً من وكيلي العروسين.

يردد وكيل العريس:

« انا..... وكيل...، أدفع (المبلغ المعين) صداقاً من جزأين: واحد متسلم والثاني مؤخر وذلك على كتاب الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، واشهد على ذلك كل الحاضرين ».

ويردد وكيل العروس ما يمليه عليه المأذون ببطء وبصوت واضح، ويشير إلى أن العروس ليست « مُجبرة » رغم ان والد العروس يمكن أن يجبرها على ذلك مستفيداً من المذهب المالكي. إلا إذا اعترضت العروس بصورة صاخبة أو كان العريس مجذوماً

(مثلاً). ولكن بصورة عامة يمكن للأب فرض العريس على ابنته[45].

في هذه الحالة يردد وكيل العروس: « أنا.... وكيل.... أوافق على زواج « المجبرة »..... بالصداق.... الخ. على سنة الله ورسوله ».

بعد ذلك توزع القهوة والتمر.ويتم إخطار النساء بعد إجراءات

العقد؛ وينطلقن بالزغاريد وهذا بمثابة إشهار للزواج حسب قوانين الشريعة.

الدُّخلة

« الدخلة » تعني دخول العريس ليصبح أحد أفراد عائلة العروس. في السابق تسبق الدخلة العديد من الحفلات التي تتواصل حتى تتوج بحفل « **قطع الرحط** » و« **الجرتق**».

قبل الدخلة يقيم العريس حفلاً يسمى « **المغرم** » يعني بأنه على المعازيم دفع غرامة. يأتي أصدقاء العريس الحفل ويدفعون مبالغ مالية تساوي ما دفعه لهم العريس في حفلات زواجهم أو زواج أقربائهم وتعلن أسماء من يدفعون وتذكر المبالغ التي يدفعونها وتعقب ذلك زغاريد من النساء. والآن لم يعد موجوداً حفل « المغرم » على الرغم من أنها لم تكن عادة قديمة جداً.

ظهرت هذه العادة في العصر العثماني، عندما كان الناس يتعاملون بالريال المجيدي، وريال ماريا تريسا الفضي. تقول الأغنية في هذا الصدد:

الأخدر ما شفتته

العقر ما بيلدنه

عشرين ريال من سرجه ما بدلنه

كانت العشرون ريالاً تعدّ مبلغاً ضخماً، إذا كانت تساوي أوقية من الذهب أو أكثر. تغيرت كلمات الأغنية الآن إلى « عشرين جنيه و« مائتي جنيه ». وحديثاً جداً تحول الريال إلى دولار والسرج إلى

سيارة.

يعقد كل من العروسين، حفلات قبل الدخلة بوضع طبق فضي (الآن ألمونيوم) صغير في حقل « الحنة « ويدس فيه الحضور بعض النقود، بدون أي إعلان او ضجيج.

العريس يقيم أيضا « كرامة « شكراً لله «، قبل أن يذهب إلى منزل العروس. بعض الأصوليين الدينيين ينادون – في عصرنا هذا – بان تذهب العروس لمنزل العريس طبقاً للشريعة، ولكن هناك حديث [46] نبوي يقر بضرورة رحيل العروس في خيمة تشبه الكجرة[47] عندنا.

تجهيزات أهل العروس قبل الدخلة كثيرة جداً بعضها خاص باستقبال العريس وأهله، والآخر خاص بتجهيز العروس نفسها. في السابق كانت تجهز للعريس غرفة خاصة به ولضيوفه. وفي كثير من الأحيان تكون هذه الغرفة جديدة، بُنيت خصيصاً للعريس. ويظل فيها العروسان لمدة عام كامل حتى تنجب العروس. والغرفة يتوسطها « عنقريب القد». وهو عنقريب طويل مصنوع من خشب السنط، بأرجل مقوسة ومجلد بجلود الحيوان ومغطى بـ « عطينية »[48] وهي ملاءة مصنوعة من ورق الدوم تُجملها خيوط وأشكال زينة متعددة. أصبح « عنقريب القد « الآن قطعة متحفية وأصبح السرير الأوربي العريض هو المفضل الآن حتى في القرى.

دق الريحة

العطور الأساسية هي « الكركار «، «الخُمرة«، «خُمرة الزيت «، « الدلكة « و« الدخان «.

« الكركار » اسمه مستمد من تكرار الحركة « كركبة »، وهو مرهم من دهن الماعز. تضاف اليه عدة عطور: خشب الصندل »، « المحلب »، « السرتية»، « المحلبية » و« المجموع »، وهي في غالبيتها عطور هندية. « الخمرة »، عطر سائل ولكنه أقرب الى المرهم في كثافته. العطور الهندية تخلط بخشب الصندل ومسحوق « المحلب »[49]، و» الضفر «[50] والفصوص والمسك وأحيانا « الجلاد ». كل هذه المكونات تشكل « الكركار » و« الخمرة » ليس بها « ودك » والمسك يستخرج من غدة التمساح وعملية التحضير لهذه العطور تقوم بها مجموعة من الفتيات تحت قيادة امرأة ذات تجربة غنية في هذا المجال. يبدو منظر « الضفر » في البداية مقززاً ؛ قطع سوداء وأصداف، مع بقايا أسماك ذات رائحة كريهة. تغلي هذه المكونات بعد تنظيفها من الرواسب ويتم تسخينها ودعكها برمال ساخنة، تنتهي الرائحة الكريهة ويكتسب « الضفر» رائحة عطرية ذكية. تصبح هذه المكونات مسحوقاً يخلط بالزيوت العطرية. الآن يضاف لهذه المكونات عطور فرنسية (فلور دي آمور أو ريف دي اور)، وبعض العطور الأوربية الأخرى التي تتم صناعتها خصيصاً للسودان مثل روائح « بت السودان » أو « عريس السودان ». هناك أغنية:

حمام السّنده
سكْتوه البرنده
وريحته باللونده
بنطلب الكباريت خلو الدهن والزيت

الآن نادراً ما تستعمل « الجلاد »، لأن تحضيره يستغرق وقتاً

طويلاً . الجلاد يصنع من جلد القط البري، يغطي أولا بأوراق التبغ ويترك لمدة أسبوع ثم بعد ذلك يتم تفريغه وسلخه وتنظيفه من كل أنواع اللحوم وبقاياها ثم تجفف وتقطع إلى قطع صغيرة. وتصبح لها - كما قيل لي - رائحة طيبة. لم يعد « الجلاد » يستعمل الآن، وكان في الماضي يعتبر رمزاً للثراء والذوق الراقي. تقول إحدى ارستقراطيات قبيلة الجعليين، بأنه عند زواجها كان لها

« حُق » (إناء خشبي) مملوء بـ « الزبد »، و« الجلاد » و« شبشب » من الذهب. يقول بأن قطع الجلاد أضيفت إلى « الخُمرة ». « خُمرة الزيت » هي « الخمرة » مضافاً إليها زيت السمسم وتستخدم لتدليك الجسد وهي تصنع من عجين الذرة مطبوخاً بصورة خفيفة حتى لا يتجمد، ثم يوضع في إناء خشبي يسمى « قدح الدبكار ». ثم بعد ذلك يوضع في « حفرة الدخان »، على الأقل لمدة ٧٢ ساعة، مع « طلح محترق، ويسمى « السيال ». يتم تحريك العجين عدة مرات في هذه الأثناء، ويتم ترطيبه كل مرة عن طريق غمر الأصابع في العطور الزيتية. ويطفأ أي لهب يشتعل، لأنه ينضج بدخان سيال الاكاسيا ثم يعجن ويُرطب بالصندلية ثم يعطر بالمسك ويخلط بالمحلب ومسحوق « الضُفر » والعطور الأخرى.. ويتم تبخير « الدبكار » بـ« الكليت» وخشب الصندل. ويصبح عجين الدلكة الآن أحمر أقرب إلى اللون البني، وذا رائحة ذكية جداً. الآن يتم حفظ هذه القطع في الثلاجات. الدلكة تناسب جو السودان الحار، وتصبح فعالة جداً عندما تخلط بـ « خُمرة الزيت ».

« الدخان » هو البديل السوداني لـ « حمام البخار »، وهو أكثر

فعالية لنعومة الجسد وإراحة العضلات وعلاج الفطريات. والآن نجد في أغلب البيوت حُفرة للدخان توضع بداخلها جرة من الطين. خشب الطلح (سيال الأكاسيا) يحرق في النار ليطلق بخاراً تستحم به النساء، تمسح المرأة جسمها بالزيت وتجلس في الحفرة، تكون عارية تماماً من الملابس وتتغطى ببطانية تسمى « الشّملة »، وتحاط الحفرة بملاءة. تداوم المرأة على هذه العملية عدة مرات.

في الماضي لم تكن « العروس » تجلس في حجرة الدخان، إلا بعد انقضاء حفلات الزواج - وفي الواقع - في اليوم السابع بعد الدخلة (والذي يسمى السبوع) تواصل العروس في الدخان، حتى يصبح جسمها جافاً حينئذ يتم تدليك جسمها بالدلكة حتى يصبح ناعماً وتسمى مجموعة عمليات « الدخان » و« الدلكة » و« الخمرة » باسم واحد هو « الكباريت ». الآن تستخدم الطبقات المتعلمة، حمام البخار الأوروبي والعطور الحديثة. هناك أغنية في ثلاثينيات القرن العشرين تقول:

ما بنطلب الكبايرت

حلو الدهن والزيت

عند حفل « الكرامة »، توزع قطع صغيرة من هذا « الكباريت » على النساء المشاركات في الحفل.

تظل العروس في الكجرة « لمد أربعين يوماً بعد الدخلة. في اليوم الأربعين يذهب كل من العريس والعروس للنيل ليتبركوا به، ولزيارة ولي من الأولياء الذين يكون ضريحهم بالقرب من النيل مثل حسن ود حسونة، والذي يقع ضريحه حوالي ٧ كيلومترات

جنوب الدامر.

مسيرة العريس إلى منزل العروس تسمى « الشيوم » والتي تعني الزيارة للتحية والسلام و» الشيوم « هي تحوير لكلمة « السلام « أغنية « الشيوم « معروفة في كل أنحاء السودان »:

ياعديلة يا بيضا

يا ملايكه سيري معا

الليلة سار مننا

دا علبو ليه القنا

الشيوم، تسمى أيضاً السيرة.

في الماضي، حيث لم تكن هنالك مصابيح نيون تتلألأ، كانت عصى شجرة « القنا « تستخدم للإضاءة. يغمس « القنا « في زيت السمسم قبل يوم « الدخلة « وفي السيرة يتم إشعالها بحيث تتلألأ كأنوار النيون.

يقود السيرة العريس ممتطياً جملاً أو حصاناً، لابساً « السديرية « و« السكين « على ذراعه وهي مغطاة بغمد مصنوع من جلد التمساح ومزين بالفضة والعديد من التمائم والنساء يتبعن الرجال، وهن يحملن المقاطف على رؤوسهن. هذه المقاطف تحتوي على « الشيلة »، وهي تحتوي على ملابس وحلي ذهبية وفضية للعروس ولوالدتها وأقربائها. تقول الأغنية:

ام العروس جينا ليكي

جبنا النضم الشبيكي

ام العروس هاكي هاكي

جبنا الضهب والمجول سكاكي

نحن النيل العم الوادي

ترانا اسمحفوا لينا غادي

في منطقة الدامر - حيث الروح الدينية قوية جداً - السيرة يقودها « الفقرا » وحواريهم حيث ينشدون الأغاني الدينية:

مقدم جيش المرسلين رسولنا

خلف « الفقرا » يسير حواريو الطريقة القادرية « يضربون طبولهم ويهزجون بأناشيدهم الدينية، خلفهم يسير العريس ورفقاؤه الشباب - بعضهم يمتطي جياداً أو حميراً وبعضهم يسير على أقدامه. وأخيرا النساء أهل العريس واللائي يقمن بالضرب على « الشتم » وهو عبارة عن طبل صغير، وعلى «الدلوكة « (الطبل الكبير).

يتم أولاً استقبال « الفقرا » وقيادتهم إلى مكان مهيأ لهم خصيصاً. ويستمر « الفقرا » ينشدون أغانيهم الدينية ويرددون ابتهالاتهم لمدة ساعة بعد الاستقبال أما النساء، فيستقبلن من جانب النساء من أهل العروس، ويردد الطرفان أغاني تعبر عن عدائيات هزلية، ويقوم كل من الطرفين برش الماء واللبن على الطرف الآخر وهن يغنين:

١/ عريسنا أب شوره

٢/ العريس بتود سووا له الفقود

١/ نحن النيل العم الوادي

ترانا جينا اسمحفوا لينا غادي

وهكذا.......................

في ذلك الوقت يتم إعداد الطعام للفقرا والضيوف. ونفس

الترتيبات تقوم بها النساء لإكرام ضيوفهن. وفي العادة يشارك الجيران بتوفير بيوتهم للضيوف وبالإسهام في إطعامهم.

يقدم أثناء الطعام مشروب غير مسكر مكون من التمر والشعير والسكر. ثم بعد ذلك « اللقيمات » المصنوعة من القمح والتمر وبعد ذلك اللحم والكسرة. الآن تغيرت تماماً حفلات الدخلة وخصوصاً في المدن والمناطق الحضرية. إذ حلّت السيّارات والحافلات محل حيوانات الركوب، ولم يعد هنالك مجال للدلوكة والسيرة الراجلة.

أصبحت حفلات الزواج الآن مجالاً للتفاخر وعقد الحفلات في الأندية والفنادق.

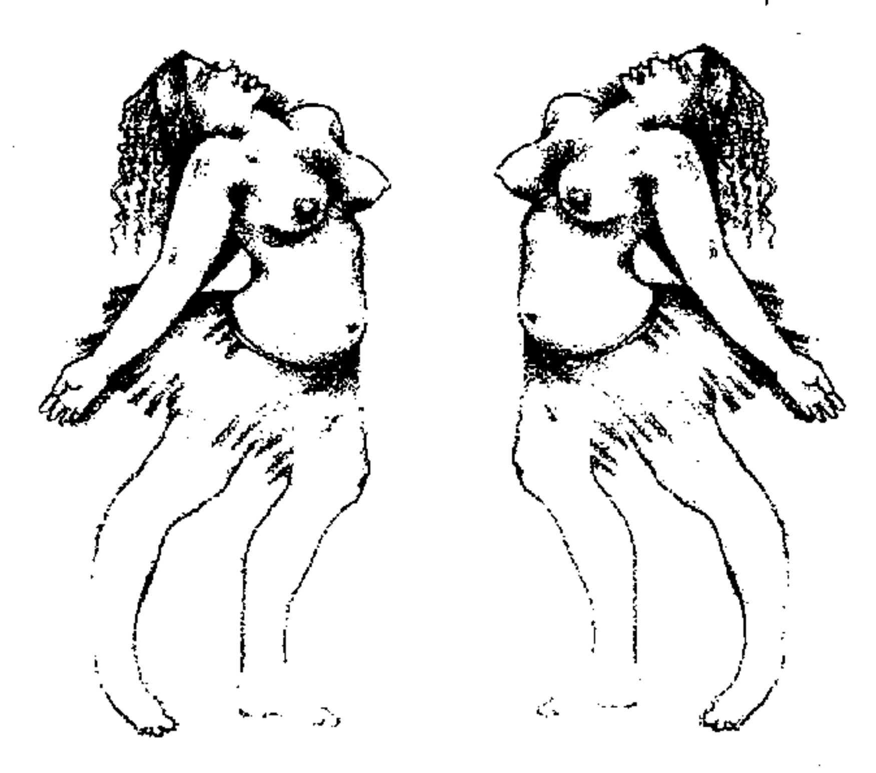
قطع الرَّحَط

في السودان – كما في أي بلد في العالم – تعامل العروس وكأنها ملكة – على الأقل أثناء حفلات الزواج.

قبل فترة طويلة نسبياً يتم تدريب العروس على الرقص،وتقوم بالتدريب امرأة ذات خبرة واسعة في هذه المهارات، وهي لا تنال أجراً على ذلك والآن أصبح تدريب العروس على مهارات الرقص حرفة معترفاً بها تمتهنها بعض المغنيات.

في السابق كانت أول خطوة في تجهيز العروس هي « المشاط » (تجديل الشعر) – نتذكر أن بعضاً من شعرها، كان قد قدم هدية لأحد أولياء الله الصالحين عند ميلادها –. المشاط تقوم به امرأة محترفة اسمها « المشّاطة ». يتم أولاً تسريح الشعر ثم تجديله في ضفائر صغيرة متعددة. ويدهن الشعر قبل التجديل، بالكركار والمحلبية

وبعض العطور الأخرى. يسمى الشعر عندئذ « الرشاش » وذلك لان الشعر يرش بالعطور الزكية، عندما تعطى العروس « الشبال (سنتكلم عن « الشبال »، فيما بعد).



كان الشعر الطويل المجعد والمجدول على الطريقة الافريقية، يعتبر، رمزاً للجمال. عندما تزوجت « الدون - إحدى خدم شيوخ الجعليين - استغرق تجديل شعرها أكثر من ثلاثة أشهر. كانت « الدون » تسكن في « قوز رجب »، إحدى القرى التي كانت تعتبر محطة من محطات القوافل. تغزل فيها الشاعر الشعبي ود الفراش،

وقال في إحدى أغانيه:

الدون حبابه أم شعرن تقول وتر الربابة
يا الفراش أبو كاشف جمابه
تجرد المال تخلي البيت خرابه

لم يكن للدون نسب قبلي تفتخر به، ولكن كان لها شعرٌ رشاشٌ كان هو موضة العصر. انتهى ذلك الآن. في ثلاثينات القرن العشرين ظهرت تقليعة جديدة وهي إضافة» جورسيه « لشعر العروس (شعر صناعي يضاف للشعر الحقيقي ويصل طوله حتى الأرداف) لا يزال « الجورسيه « يستعمل في حفلات « قطع الرحط «.

الآن تذهب العروس لمصفف الشعر « الكوافير «. بعد إدخال غيري لقانون الشريعة في سبتمبر ١٩٨٣، تم منع النساء من الذهاب للكوافير. ولكن النساء فرضن الكوافير بالقوة بعد سقوط نظام نميري. والآن أصبح الذهاب للكوافير أمراً أكثر من عادي.

تذهب العروس مع صديقاتها للكوافير، وبعد ذلك مباشرة لاستوديوهات التصوير، وهي ترتدي زى العروس الأوروبية وتتحلى بالمجوهرات الأوروبية. ولكن لا زالت عادة «قطع الرحط» سارية.

العريس له (وزير)، بينما إخوته وأقاربه يساعدون في (الوزارة)، أي الإحاطة بالعريس. وتقديم كل المساعدات له وتشجيعه على حضور « قطع الرحط « والذي تحضره كل النساء. بعض الأسر المتعصبة دينياً ترفض وجود أي رجل في « قطع الرحط» باستثناء العريس، يلبس العريس « الشيوم « – ولكن كان ذلك في السابق. الآن العريس يرتدي الزى الأوربي، او مجرد جلابية وعمامة. يجلس

العريس وسط الدائرة محاطاً بالنساء. تعلن زغاريد النساء حضور العروس والتي تأتي متثاقلة مع « الوزيرة » وهي مغطاة بثوب من « القرمصيص ». يقف العريس أمام عروسه والتي ينزع منها « القرمصيص » ولكنها تكون مغمضة العينين وتغطى وجهها بيديها. وهنا يبدأ الغناء:

شيش يا العريس، شيش أتمهل

عقد الكنار قالو انبهل

الآن تغيرت كلمات الأغنية، ولكن بنفس الايقاع السابق مثلاً عندما أدخلت الإضاءة الكهربية – أصبحت الكلمات:

وين... وين تلقوا ذي ده

عروسنا المنقة المثلجة

يضاف ذلك للأغنية القديمة:

وين... وين تلقوا ذي ده

عروسنا المهرة المعبدة

عروسنا القمر الـ في السما

ترقص العروس مغطية وجهها باليد اليمنى وتضع اليسرى على أردافها. يقوم العريس برفع يدها، خائفاً من حدوث « القون »، وهو أن تسقط العروس على الأرض في غفلة منه (وكلمة «القون » مستمدة من لعبة كرة القدم وتعني « الهدف »). تلبس العروس «الرحط » تحت الفستان. و« الرحط » هو عبارة عن لباس داخلي من الخيوط الجلدية المتفرقة، تلبسه الفتيات يقوم العريس بقطع الدائرة التي تحيط بها هذه الخيوط ويقع الرحط ويقذف به العريس، حيث تتناثر خيوطه،

وتعمل الفتيات على الاحتفاظ بهذه الخيوط، لأنها تجلب لهن الحظ.
في السابق كانت العروس تلبس الرحط فقط بدون أي ملابس،



عند قطع الرحط تكون عارية تماماً، ومن ثم تسقط على الأرض وتغطى بثوب القرمصيص. تلقيت هذه المعلومة من ثلاثة شيوخ أجلاء، ومن امرأة تبلغ السبعين من عمرها، قالت بأنها نفسها عاشت هذه التجربة. قال لي علماء الدين الثلاثة بان الرحط هو من مخلفات الجاهلية... أما المرأة العجوز فقد قالت لي بان وقوف العروس عارية يشير إلى متانة صحتها، وأنها غير مصابة بداء « الزهري » (الذي كان منتشراً في ذلك الوقت نتيجة لضعف الخدمات الطبية). ولم تر العجوز غضاضة في وقوف العروس عارية.

الجرتق

جرتق الزواج لا يختلف عن جرتق الختان،و يقول المثل السوداني إنّ: «ود العرب دولته يوم عرسو ويوم طهورو». وفي الواقع فإن العريس في الجرتق والضفيرة والصندل والمحلب على رأسه، وبالعقد الذهبي والهلال الذهبي على رأسه، وهو يحمل سيفه أو سوطه يشبه ملوك مروي القديمة في معبد الشمس في مصورات النقعة.

يتم الجرتق ظهراً بعد « الدخلة » و« قطع الرحط ». بعد الجرتق يذهب العريس إلى منزل والدته....... ثم بعد ذلك تذهب معه أخواته وقريباته وجاراته لمنزل العروس. أثناء الجرتق تغني النساء «البنينة»، وهي كلمة إيقاعية تحاكي الحركة بترداد الحروف[٥٦].

« البنينة» التقليدية تقوم بالثناء على العريس وأصله العرقي. يجلس العريس على « العنقريب» مزيناً وتفوح منه روائح الدلكة والبخور. ثم يقف رافعاً سيفه المجلد بجلد التمساح، سوطه المصنوع من جلد الخرتيت. وينال وزيره قليلاً من الجرتق بالصندل والمحلب، وهو يحمل أيضاً سيفاً وسوطاً، بعد ذلك ترتفع أصوات الضرب على « الدلوكة » و« الشتم ». وتبدأ النساء في الرقص. تدخل الحلقة الأولى ثلاث أو أربع فتيات من أهل العريس لابتدار الرقص، ثم يتبعهن عدد مساوٍ من أهل العروس. تكشف كل فتاة راقصة عن رأسها لتعطي « الرشّة ». يدخل الرجال الحلقة بعصيهم، وأحيانا بسيوفهم وهم يتقافزون على أنغام الدلوكة، هذا التقافز هو رقصة تسمى «الصقرية» (من الصقر). تقترب الراقصة من احد الرجال المتقافزين وتهز له رأسها « رشّتها » ويسمى ذلك «الشبّال» و«الشبّال

« هدية يفرح لها الشاب، ويعلن عن استعداده لتلقي ضربات من السوط على ظهره العاري ليجلده بها العريس، والذي يملك حق جلد الناس، لأنه «ملك».

الجلد بالسوط كان جزءاً أساسياً في حفلات الزواج في السابق. و« الشبّال «يستحق احتمال الضرب بالسياط. يقف الشبان - وأحيانا الرجال المتزوجون - لتلقي ضربات السوط تعبيراً عن مؤازرتهم للعريس. وهذه الضربات بمثابة دين على العريس، ويقوم بسداده عند زواج أصدقائه الذين تلقوا سياطه.

وحفل الزواج يشكل فرصة ذهبية للشبان والشابات لرؤية بعضهم البعض. الفتيات يرقصن لإظهار جمالهن، والرجال يتلقون السياط لإظهار شجاعتهم:

خالي وسط البيوت مو طرف
خالي بحر النيل مو سرف
بيكي فوق السوط ما وقف
ضهره متل السار ما رجف

هناك مغنية مشهورة كانت تثير حماسة الشباب بأغانيها، وحدث أن كانت تغني:

ضرب السوط ما هو حار
كدي جربو الشوتال

وهنا هب رجل كبير ومزق الدلوكة والشتم بسكينه.

ينتهي الجرتق بسيرة إلى منزل العريس، وتستمر الاحتفالات والرقص و» الشبّال « والجلد بالسياط حتى « السبوع « (اليوم

السابع).

بعد ذلك توضع العروس في « الكجرة »، وترسلها صديقاتها خلسة إلى حجرة العريس كل ليلة ويتم ذلك لزمن غير محدد، ثم بعد ذلك تنتهي الحفلات.

أحيانا كان العريس يعرض ملاءة سرير الزواج مخضبة بدماء العروس (وهذه عادة مستمدة من بلدان البحر الأبيض المتوسط، ولا تمارس كثيراً، بل وتقابل أحيانا باستهجان شديد).

البيوت السودانية كانت لها أسوار عالية، ولم تكن توجد بها نوافذ إطلاقا، وإنما مجرد فتحات صغيرة للتهوية تسمى «الطاقة».

أثناء السبوع يحاول الفضوليون التجسس على العريس والعروس في غرفتهم الخاصة، ولكن الوزير يقف حائلاً دون ذلك.

« الجرتق » الآن عملية رمزية – قليل من الحناء، وأحيانا بعض الدلكة. لم تعد « الكجرة » موجودة. العرسان يذهبون الآن الى الفندق. وفي زمن سابق كانت أركويت هي المكان المفضل لقضاء شهر العسل. وكان السفر يتم في عربات السكة الحديديّة في « عربة النوم » ؛ والتي كانت دائماً تفوح منها رائحة «الخمرة».

فى هذه الأيام فأن العرسان الجدد غالباً ما يغادرون إلى المطار لإغراض الدراسة أو التوظيف بالخارج بعد ليلة (الدخلة) تاركين الفطور التقليدى المكون من الشعيرة لياكله الأخرين.

الشعيرة فى النار   والعروس فى المطار

الهوامش

[1] هذه مجموعة مقالات مترجمة من:Sudan Notes and Records

الأعداد:

١. العدد ٣٦، ١٩٥٥، ص ١٤٦ /١٥٨

٢. العدد ٣٧، ١٩٥٦، ص ٥٦/ ٦٨

٣. العدد ٤٥، ١٩٦٤، ص ١٢ /٢٨

٤. العدد ٢، ١٩٩٨، ص ١٣/٣٥

[2] عيد الأضحى هو اكبر الأعياد الإسلامية، وهو اليوم العاشر من آخر شهر من السنة الهجرية. يتوجب على كل مسلم مستطيع ذبح خروف تيمناً لما حدث لسيدنا إبراهيم، والذي أراد ذبح ابنه إسحاق أو إسماعيل قرباناً لله، ولكن الله افتداه بخروف. بعد صلاة العيد يأمر الإمام جموع المصلين بأن يقوموا بأنفسهم بذبح الأضحية، من لم يقم بذلك سيقل أجره عند الله.

[3] كان « أبو شباك» يستخدم أيضاً في الوثائق القانونية.

[4] يجب ألا يختلط مفهوم هذا الحجر مع الحجر الذي يسمى Blood Stone باللغة الإنجليزية.

[5] سنقوم بمناقشة الجرتق في مكان آخر عند مناقشة « الزواج »

[6] سنتكلم فيا بعد عن الدهون كالصندلية وغيرها.

[7] بعض القبائل الهندية البدائية – كما سمعت – تعتقد بان بعض الدهون تحتوي على قوى سحرية، تساعد المرأة الحامل على الوضوع بسهولة، لهذا يتم مسح الحامل

بها. ميلاد الطفل سليماً يعني فعالية الدهون – وتقوم النسوة بمسح بطن الحامل تيمناً بها وأملاً في أن يكن أنفسهن خصبات.

[8] شجرة الخلاص هي نوع من شجر الصبّار، ينمو في بلاد الحجاز، ويجلبها الحجاج من هناك على الأقل يجب أن يكون هناك فرع من هذه الشجرة في أى قرية من قرى السودان النيلي.

[9] الشعبة هي عمود خشبي يقف وسط المنزل لدعم السقف فرع،

[10] تعتبر شجرة النخيل الخضراء رمزا عربيا للخصوبة. دائما ما تسمع عن القافلة التي تحمل هودجا تجلس فيه فتاة حسناء أو شخصية محبوبة ، وذلك في الأشعار التي تتحدث عن الحدائق الغناء بفواكهها ونخيلها الباسق الكثيف (أنظر: رائية امريء ألقيس وميمية المرقش) يشار إلى المرأة القارعة أحيانا بأنها نخلة (أنظر حميد ابن ثور ، خزانة الأدب للبغدادي ، القاهرة ١٣٤٨ ، الجزء الثاني ، ص. ١٧٦-١٧٨). يبدو أن فكرة الخصوبة قد تطورت في ما بعد إلى مجرد فكرة عامة عن اليمن والبركة. يقال إنّ الرسول (ص) وضع فرعا أخضر من شجر النخيل على قبر أحد الصحابة، وقال بأن ذلك سيقلل من معاناته في القبر. (انظر: صحيح البخاري ، القاهرة ، صبيح وأبنائه ، الجزء الأول ، صز ١١٤ ،

[11] الكجرة « هي بلا شك تحوير للكلمة العربية خدر (خيمة المرأة). يتغير حرف «الجيم» العربي «الاسيكي في اللهجة السودانية إلى « دال « وبالعكس مثلاً:»دحش « (الجحش) وكانت الجيم تطلق بدل الدال مثلا في «جغم « أي ابتلع وهي في الأصل العربي « دغم «. كما يضاف حرف الألف أحيانا كما في « راجل « بدلا من « رجل«.

[12] قماش هندي ملون يصنع تقليد له الآن في لانكشير.

[13] هناك اعتقاد–على أي حال – بأن المسيحيين ينقلون الشر من خلال أعينهم الشريرة (انظر في ما بعد).

[14] أصل هذه الكلمة هو « الحل «. والحلّولة عبارة عن شكر على حل أو تسهيل عملية الولادة.

[15] يفترض أن تكون عين الساحر حارة.

[16] النقر هو ولي يعتقد بأن له قوة شافية في ضد العيون والسحر مثل « العدار » (قصب معين يؤدي إلى قتل الأبقار) « والخضر » هو نبي خالد يزور المتكوبين متخفياً بحيث لا يعرفه أحد وإذا حدث وأن تعرفه أحدهم فسينال كل ما يرغب فيه.

[17] هناك صيغة أخرى لهذا الدعاء:

النبي نحر ناقته ويلحق بجماعته

قامت تسير بلا تعاسير

[18] هذه الآية رقم (٥ ٨) في القرآن لكريم. تقرأ النساء سورة البروج كلها أو على الاقل يحاولون ذلك.

[19] وهو يشابه اسم Dorothy الانجليزي.

[20] يجب هنا عدم الخلط بين بنات الحور في هذه الأغنية ، والحوريات (عذارى الجنّة) هنا الحوريات مخلوقات شاحبة تعيش في أعماق النيل ، وهنّ قادرات على إحداث الكثير من الشر. مثلا يمكن للحورية أن تختطف الرجل الذي يعجبها وتحتفظ به لأطول مدة ممكنة في أعماق النهر. والرجل « الحوري » يخطف البنات ويغويهنّ. والحور غالبا ما يقومون بمهاجمة الرجال في الظلمة وضربهم

[21] تسمى هذه العملية « العزية ». وهي تمارس في كل أنحاء العالم الإسلامي، ويمكن متابعة تاريخها حتى ما قبل الإسلام، حيث كان يتم البصق على العقد (أنظر: القرآن الكريم السورة ١١٣ / ٥ انظر: « الكشاف » للزمخشري »، القاهرة، ١٣٥٤ هجرية، ص. ٤/٤ ٢. انظر أيضاً: حواشي هذا المقال).

[22] سنتحدث بتفصيل فيما بعد عن الأولياء وتقديس الأولياء في السودان، وذلك تحت عنوان منفصل.

[23] سنتناول مؤسسة « حارس الضريح » لاحقاً عندما نتحدث عن الأولياء وتقديس الأولياء.

[24] بالقرب من الشلال الخامس.

[25] كلاهما أولياء للربا طاب

[26] امرؤ القيس:

فيا هند لا تنكحي بوهةً عليه عقيقته أحسبا

[27] سيرة ابن هشام: ١/٢٠٩.

[28] في شمال انجلترا توجد (أو كانت توجد) عادة رمي أسنان اللبن في موقد المطبخ، مع الغناء:

Burn tooth burn »

God send mother tooth

Burn tooth burn

و ترجمة ذلك هي: إحترقى أيها السن إحترقى أرسل اللهمّ لنا سن الأُمومة

إحترقى أيتها النار إحترقى

ويتم أحياناً خلط السن بالملح

)السودان في رسائل ومدونات)

[29] انظر:لسان العرب: شلخ

[30] هناك أدلة بان العرب القدماء كانوا يمارسون عادة الشلوخ (انظر:d. ، Naka (cd. ، ed: by Bevan

أكثر أنواع الشلوخ هي (١ ١ ١) الجعليون و(≡) الشايقية و(T) العبدلاب. اما القبائل الفرعية فهي تستخدم شلوخا مستمدة من تلك الرئيسية مثلا:

[31] انظر معجم الفيروزاباي (القاهرة، ١٩٣٨) ، ١/٩٨/٢٤

[32] من اللغة العربية – أبرش

[33] تعتبر هذه احسن رمية، لأنك تبدأ هنا من «الولد»

[34] ، by General Nagib، Victor Gollancz ، ١٩٥٥، p. ٤٥

""Egypt Destiny

[٣٥] سنتحدث عن «البطان» مرة أخري في الجزء الخاص بالزواج

[٣٦] لسان العرب: -١ -٦ ١٧ ١٨.

[٣٧] لم يحتو المقال الأول على أي جزء خاص بختان الإناث. ويبدو أن هذا الجزء قد سقط من المقال أثناء النشر، يؤكد ذلك إشارة الكاتب أكثر من مرة في المقال لحديثة عن ختان الإناث (المترجم).

[٣٨] انظر الحاشية السابقة (المترجم).

[٣٩] الدوم هو نوع من شجر النخيل Hyphaene thebaica

[٤٠] لمزيد من الأمثلة، انظر: ما سبق ذكره في بداية هذه المقالات.

[٤١] حجر للطحين يبلغ طوله ٧٥ سم ويتراوح عرضه ما بين ١٥ إلى ٥ سم.

[٤٢] كان القرع يتم تزيينه بطريقة هندسية تقليدية ليصبح كأساً للشرب يقدم في حفلات الزواج. قبل الزينة طبعاً ينظف القرع (أي حكحكته)

[٤٣] " البيعة الجامعة « العددCIXIX. وقد ذكر هذه الأبيات شارلس لايل في مختاراته باللغة العربية وقام بنفسه بترجمتها، بيروت ١٩٢٠، أكسفورد ١٩١٨، ٣٢٨ / ٣٢٩

[٤٤] الإردب المصري يساوي ٣٣٦ رطلاً من الذرة. أما الإردب السوداني فهو يساوي ٤٢٠ رطلاً

[٤٥] حسب الشريعة لا يستطيع والد الفتاة أو أي من أقربائها تزويجها بدون موافقتها. يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) بضرورة موافقة العروس (فتح الباري (» القاهرة ١٩٥٩، الجزء (١) » ص ١٩٩٧/٩٦).

[٤٦] ينادي الحديث بان تذهب العروس لمنزل زوجها بزفة تغني فيها صديقاتها (المصدر لسابق: ص ١١-٨ ١٠). وهناك أغان في هذه الزفة شبيهة بأغاني الدخلة عندنا (نفسه: ص ١٣٣).

[٤٧] كلمة عربية مستمدة من كلمة « حجرة » و« خِدّر « (خيمة خاصة للفتيات): (أنظر: بداية المقالات).

[48] Acacia Arabica nilotica

[49] " المحلب » كلمة سودانية دارجة، مستمدة من كلمة « الحلب ».

[50] حسب قاموس لين (عربي / انجليزي) « الضفر » كلمة لاتينية وتعني نبات Unguis odoratus

[51] كلمة تعتمد على ترداد الحروف، كما نجد عند شكسبير:

" with a hey and ho and they nony no»

Changing Customs of the Riverain Sudan



Auther: Professor: Abdulla Eltyib

book: Changing Customs of the Riverain Sudan

Edited by: Mohamed Osman Makki

illustrated by: Abdalla Mohamed Eltayeb

first edition 2009

Publisher:
The Professor Abdulla Eltyib institute
for arabic language
U. of. K
Issue No (3)

Professor: Abdulla Eltayib

Changing Customs of the Riverain Sudan

Edited by: Mohamed Osman Makki

These articles were published in: "Sudan Notes and Records", No.

1. 36, 1955, P. 146-158
2. 37, 1956, P. 56-68.
3. 45, 1964, P. 12-38.
4. 2, 1998, P. 13-35.

In name of Good the Merciful Compassionate

Introduction

Dr. Sidig Omer Sidig
Director of: The Institute of Professor / Abdullah Tayeb,
University of Khartoum

I spent a very long time contemplating what serious thoughts , depth ,capacity and multi-talents ,we can ,find when we dig in the heritage of Professor / Abdullah Tayeb Then in the dispersion of suppositions, and the difficulty and hardness we meet when we demand to acknowledge our selves with his writings in different periodicals, journals which contain his readable heritage, in both Arabic and English languages. We try here to translate what Professor wrote in English into Arabic. We tried to begin our determination to bring the translation of the articles that Professor had written in the journal entitled: (Sudan Notes and Records). As we have seen its importance and its place in the studying of Sudan Folklore .One of the venerable knowledge which accounted for, as a multitude of

research, was : (Sudanese Folktales) which he wrote in Arabic, then he translated it into English with his own pen, not mentioning his other encyclopedic works ,such as what he wrote in a research connected to the Sudanese colloquial Arabic Language to the Academy of Arabic Language in Cairo, and the scattering works of interest in the numerous articles in magazines and lectures. Perhaps this encouraged us to ask the clever translator Mr. / Mohamed Osman Mekki,who was ready for translation, and the work was revised by the scholar Professor / Syed Hamid Heriz. Also Professor Mohammed Mahdi Bushra,who took part in the revision, thanks to them and thanks go also to the artist / Abdullah El-Tayeb, who got to bring the book, and sister / Khairia Hassan Mustafa, who corrected the Arabic translation in the computer.

Foreword

Even as I now write this paper, most of us are aware of the rapid changes that are daily transforming Sudanese life from that of a medieval community deeply rooted in tradition, to that of an Afro-Arab nation newly born under the impact of Western civilization. Many styles and modes of life-as I knew it in my boyhood- have completely disappeared. Many are in the process of fading away. And some, very few indeed, can still be described in the distant villages and among the more conventional homes. It is in the interest of students of sociology, anthropology and history to make a record of all these, before the final break-up of the old patterns takes place and new fashions and ways of living and behavior prevail.

From Birth to Puberty
Birth and Early Infancy

Mushahara

This term (derived from the Arabic "*Shahr*" = moon" was applied to all the apparently inexplicable ailments to which a pregnant woman was exposed, and which would cause a miscarriage or a difficult birth, if not treated and dispelled at once.

A woman would certainly be attacked by "*mushaharah*" if she saw a dead body or went to a funeral, or if she was visited by anyone who had been a funeral or who had seen a dead body. It was therefore necessary for any person returning from a funeral and wishing to visit a pregnant woman, to exorcise the spirits of the dead before doing so. This was performed either by looking into a well or by visiting some other people who had not been to the funeral.

If, however, the visitor went straight to the pregnant women, she would be attacked by "*mushaharah*" at once. To cure her, a bone of a donkey which had died at least a year before, would be sought. It would then e wrapped in rags in imitation of a shrouded corpse. Then the women of the

neighbourhood would be called upon to wail and mourn over it as if it were a deceased relative. They would do so in a very earnest manner and shout loudly:

O Son of Umm Kayshuna
We mourn for thee

Then the bone would be ceremonially buried in the "bosh" (the family compound); and water would be sprinkled over its mock grave.

Another cause of "*Mushaharah*" was gold. If one of the visitors was wearing gold ornaments, the "*Mushaharah*" spirit of gold had to be exorcised immediately after her departure. This was done by making the pregnant woman herself wear gold, and by placing dates and grain under her bed. If a golden necklace or bracelet was not available, an English shilling would be used as a substitute for gold, presumably because of the similarity of design between the shilling and the sovereign. In the Northern Province, among the *Rubatab, Ja'aliyyin* and *Shaygiyyah*, a gourd containing dates and grain was permanently placed under the bed of the pregnant woman, as a precaution against "*Mushaharah*".

The taboo on Blood-Spilling

To protect his wife from miscarriage the husband would abstain from the spilling of blood. He would kill no animal with his won hands, not even on the occasion of the Korban Bairam[1]. Otherwise his wife would certainly suffer terribly while giving birth and might lose her life: the child would very probably be deformed or stillborn.

The amulet of the Fekki

The husband would ask the advice of the "*Fekki*" (the local religious Sheikh), who would give him an amulet against the payment of the fee called the "*bayad*".

There were three commonly-used types of amulets. The "*Bakhrah*" was a piece of paper containing astrological formulas, which was to be burnt and then used as an inhalant. The "*hujab*" was an astrological formula written on a sheet of paper which would later be rolled up and covered with leather according to a certain design requiring the skill of the local saddler.

The piece of paper used for "*bakhra*" or "*hujab*" had to be of a certain quality called "*Abu Shubbak*", the name being derived from its window-like watermark. "*Abu Shubbak*" was manufactured in Europe in imitation of the medieval paper which was used by Muslims for religious purposes. It is still being manufactured and is widely used by religious sheikhs, most of whom have not the slightest idea of its un-Islamic make.[2]

The third kind of amulet was the "*mihayah*". This consisted of Quranic verses written with a *dura*-cane pen and an ink made from the soot of cooking-pots mixed with water and Gum Arabic. The writing was done on a wooden table and then washed with water into a container.

The pregnant women would drink the holy liquid, which, it was believed, would help her against all the evils of giving birth. Nowadays, the writing of the "*mihayah*" is done on clean china and honey is often substituted for the black ink.

A "*bakhra*" or "*hujab*" or "*mihaya*" written by a religious sheikh who was not the official "*Fekki*" of the village would not be very effective. An official "*Fekki*" had the right of writing formulae handed down to him by his father who had it from his father. It was he alone whose writing was of real value and who deserved to be given the "*bayad*" the "*bayad*" was a necessary condition of the effectiveness of the amulet. The "*bayad*" literally means "whiteness", and it was thus named to emphasize the fact that it was given willingly and with a strong belief in the power of the "*Fekki*", the heart of the giver being clean (white) and free of all doubts.

The magic of Old Women

Older women, particularly the mother of the pregnant woman, supplied her with all sorts of magic objects which would guard her from malignant sorcerers and from bad luck. The "*ju'ranah*" (scarab) was considered a powerful protector against witchcraft. Another useful object to possess was the "*hajar al-damm*"[3] a small round stone of amber colour. It is still widely used in the towns and is said to have the power of stopping hemorrhage. The seventh month was the occasion of an important ritual called "*jartig*". The etymological origin of this word is obscure, perhaps the Arabic "*dardag*" (the young of men and beasts).

The "*jartig*" is still observed on the occasions of "Iris" (wedding), "*Tahur*" (circumcision) and "*Nifas*" (giving birth). The pregnant woman was placed on an "*angarib*" (native bed) covered with a ceremonial mat made of "*dom*" leaves

and coloured barley straw. Her hair had already been done in the traditional plaits several days before. A powder of sandalwood[4] mixed with scented grease would crown her head. The round edge of this crown would rest on a red silk band with a big turquoise bead at the parting of the hair above the forehead.

Then the hair would be adorned with beads and shells called "*rikhayami*". The eyes and the eye-brows would be blackened with antimony (kohl). The face the skin would be rubbed with oil and scented bread called "*dilkha*" (literally, massage). A necklace with the all-important silver disc called "*faraj allah*" (the help of God) had to be worn. A red band of silk would be tied round the right wrist with beads and shells of magical value. One of the vertebrae of a big Nile fish or seafish, together with an ostrich feather, would be attached to the silk band. These were considered essential. Small effigies of very repulsive shape, such as the Ancient Egyptians and Nubians used to preserve in their tombs, would be placed near the bed of the pregnant woman. These would protect her from the Evil Eye. And they would remain near her until the period of confinement was over. We may note that this custom of keeping effigies was not observed by the *Ja'aliyyin* of the '*Aramnah* branch and their kinsmen of *Berber* and the *Rubatab*. The influence of the Quran schools of the *Majadhib* of *Ghubush* and the '*Umarab*' may account for this fact.

Another "*jartig*" ritual, which was observed in the region of *Sennar* and *Sinja* was the "Eating of the '*Asidah*'"

(native porridge). A big bowl would be filled with "*asidah*" and clarified butter. The pregnant women was made to partake of the '*asidah*' and other women present did likewise. They took handfuls and wiped them on the exposed belly of the pregnant women before eating.(5) This was said to help childless and newly-married women to become pregnant.

The clarified butter did not serve any magical purpose in the rite. It was just a part of the dish (as butter is to bread) and should therefore not be confused with anointing oils. In this particular ritual of '*asidah*', the magical symbolism centered on the adorned woman, the exposed belly, and the actual wiping of the handfuls thereon. One could imagine any other traditional dish being substituted for the '*asidah*' and butter, but it is certainly the cleanest of them all.

The woman would remain in a state of "*jartig*"(6)- that is to say, would wear the "*jartig*" ornaments and be confined to the house- for one week. After that, she was allowed to carry on with her domestic activities. But she had nevertheless to observe all the taboos which, if neglected, would cause an attack of "*mushaharah*".

The Act of Giving Birth

On the night of the delivery the village midwife would be sought by the husband or by one of his male relatives. She would not respond to an invitation by a female and would consider it an insult. The house of expectant mother would be packed full of women. On her arrival the midwife would first ask for a branch of "*shajarat al-khalas*"(7) (the tree

of delivery). The branch would be dipped in water; and if it swelled and glowed with colour, that would be taken as a sign of an easy delivery. But if it did not, that was considered to be a sign of a difficult birth. The midwife would dip the branch several times in the water until it swelled or at least showed signs of beginning to do so.

Then she would instruct the women to have a strong rope tied to one of the beams of the ceiling near the "*shi'bah*"[8]. Very often the older and more experienced women among the gathering would have had the rope fixed in the right place before the arrival of the midwife. In this case she would cast a hostile glance at the rope and the women whom she suspected of anticipating her instructions, and then criticize the position of the rope or the knot holding it to the beam or simply declare that the rope was too weak and feeble. After some heated discussion, followed by minor adjustments, she would be satisfied. Then she would examine the woman and declare that it was too early yet for the baby to arrive. Then she would throw herself on a bed, especially reserved for her, and pretend to go to sleep.

The women would wait in silence for some time listening to the moans and groans of the patient. Then one of them, often an elderly aunt with a rosary wrapped round her wrist, would say: "Let us pray and praise the Prophet and the saints", whereupon they would all join in singing the following hymn:

> *Deliverer of the pregnant one*
> *From the burden of a young son*
> *He that tension does cause*
> *It is He that tension will ease;*

And Gabriel will implore his Master
And with hope descend hereafter.
Ease He will grant
The Seeker of no reward
The Deliverer will deliver her;
The Quencher of thirst
Her thirst will quench;
The Solver of problems
Her problem He will solve.

The Midwife in Action

A painful shriek amidst the noise and the chanting of the birth-hymn would tell the midwife that the hour of delivery had come. She would get up from her pretended sleep and begin to issue orders.

Many prodigies used to be told of the strange powers of midwives and their ability to recognize which of the moaning woman's shrieks was the right one. As a boy, I have heard a midwife boast that she would sleep soundly for several hours and sometimes for a whole night, and then she would hear a voice in a dream bidding her rise up, because the child was due to arrive.

The women would first dig a pit opposite to the rope if this had not already been done. The pit would receive the blood pouring from the mother. This would later be removed and disposed of as dirt in the "*hosh*". Then the older women would help the laboring mother to stand near the "*Shi'bah*" and hold fast to the rope with both hands. The

midwife would then approach the loins of the patient with her knife and make an incision in her circumcised parts, sufficient to allow the passage of the baby. An experienced medical assistant told me that the patient did not feel the pain caused by the incision because the internal pains of parturition were much greater.

It was thought advisable for the patient to groan and cry in an ostentatiously loud manner, and not to be tempted to exhibit courage and endurance, for that would make her vulnerable to the Evil Eye. Some women, however, did not take heed of this common belief. And when a misfortune befell them or their offspring later in life, it was usually attributed to this obstinately courageous behavior while in labour.

The crowd of women would abandon themselves to loud shrieks. Some would call upon the saints, saying:

O, Allah the strong one
O, Messenger
O, Father of the Virgin, [9]
O, Sheikh Magdhoub
O, Master Al Hassan
O, Nagar of the young women,
Who can not be reproached
O, Saints
O, Prophets

Some would utter the familiar expressions of fear and anxiety such as:

O, Coverer

O, Merciful

And some would simply add the volume of their voices to the noise. This would continue until the baby had been born and the afterbirth safely delivered. Any delay in the delivery of the afterbirth would cause considerable alarm. The crowd of women would be silent and subdued, and a foreboding tension would ensue, and upset the customary order of the ritual performance.

In normal case the midwife would declare the sex of the baby soon after delivery. The birth of a boy would be saluted with loud cries of joy "*zagharid*". But that of a girl would call only for faint ones. When the midwife was satisfied that the whole act of parturition had been completed, the mother would be made to lie on a bed or on a "*birish*" (a mat made from the leaves of the *dom* palm). The midwife would sew up the incision which she had inflicted with silk stitches and "*talh*"[10] thorns. The thorns were planted on the sides of the cut; and the silk thread was made to go round them, thus bringing the sides of the cut closer. This operation would restore to the woman's parts the tightness which had originally been caused by circumcision.

The Afterbirth

The afterbirth of a boy would be solemnly buried in the family compound, often as near as possible to the foundation of the house, without any song or magical

incantation. That of a girl was buried with laughter, in the hope that the baby would become a charming women. The burying of the afterbirth may be regarded as symbol of protection, the ceremonial burial indicating that no harm could be worked on the child through the afterbirth.

Another method, widely used and still practiced in Omdurman, was to throw the afterbirth into the river, thus formally and publicly concealing it from evil- doers. In some regions of the Red Sea Hills, the afterbirth is thrown on to a tree and left there to dry and wither away or else be devoured by the numerous vultures. This is, of course, a symbol of rejection. The afterbirth is treated as a fundamentally evil thing to be got rid of and cast away.

However, there are no stories (as far as I know) of the afterbirth being used for purposes of white or black magic (as, for instance, the sailor's caul which is referred to in "Macbeth").

If a badly- deformed child with a monstrous appearance was born, the mother would refuse to suckle it (the only method known of feeding a child), and so it would die. If an albino was born, it might be treated in the same way. In the case of twins of whom one was unmistakably feeble, the midwife might advise the mother to feed the stronger one only. However, some deformed babies managed to survive; and the advice of the midwife concerning a feeble twin was often ignored.

The Second Jartig

After the midwife's work had been done, the house

was swept clean and prepared for visitors of both sexes. No male, however, not even the husband, would have been present on the occasion of a normal birth. The new mother, called the "*nafasa*", and her child would then undergo a process of ritual adornment called the "*nifas-jartig*".

The same formalities as in the earlier "*jartig*" were repeated with only two additions. The first was the "*kujrah*". The second was the "*jartig*".

The "*kujrah*" was a kind of howdah made form coloured *dom*-mats, it was pitched round the bed and supported on frame of green date- palm branches.(11)

Arches of such branches would be placed on either side of the "*angraib*" (bed). A sheet of expensive Indian cloth known as "*Surrati*" would be spread as lining inside the "*Kujrah*"(12), if available. Nowadays, a curtain of "*surrati*"- most often of European make- has replaced the traditional "*kujrah*" in the town of Omdurman and similar areas.

Inside the "*Kujrah*" the "*nafasa*" (new mother) would lie covered with all the necessary ornaments of the "*jartig*". The tendency now in Omdurman is to make her look as much as possible like a new bride. Her hair will have been done in the bridal fashion and she is then made to wear all her gold, and the expensive "*garmasis*"(13) of the wedding-night will cover her bed.

The Child

The child was laid naked on rags. Neither the mother nor any of her relatives or friends would have prepared

any clothing before its arrival. Nor would it be supplied with any for a long time before it actually began to walk and run about. It would seem to have been believed that the nakedness of the child would help to protect it from the Evil Eye.

Having placed the child on the rags, the women would then make the sign of the cross with antimony on its forehead and cheeks. Christians were believed to be immune from the Evil Eye[14], and the sign of the Cross would give the child- through born a Muslim – a great measure of immunity. In the region of *Halfa*, the sign of the Cross is still made on the forehead and the palms of the new-born child with water and unmistakable relic of Christianity.

A string would then be tied round the child's waist. This, it was believed, would help to give it a good figure in the future, for otherwise its belly would bulge, and that would seriously affect the normal development of its posterior parts. The string round the waist might or not have beads on it. The eyes of the child would be blackened with antimony and some of the grease and sandalwood powder would be smeared on its head. Its skin might be rubbed with oil. And thus its "*jartig*" would be complete.

The Sacrifice

The husband would provide a sheep or goat to be killed immediately, even while the "*jartig*" was in progress, as an act of thanksgiving. This custom is still observed and is called the "*hullalah*".[15] Some of the townee fathers, whoever,

make use of this occasion when there is plenty of meat, for carousing, especially when it happens to be on a Friday or a holiday. A good portion of the meat of the "*hullalah*" – usually a quarter – would be given to the midwife together with dates, grain and scented grease, as a fee. Nowadays, however, midwives insist on hard cash and cigarettes in addition to their traditional rights.

Bones from the "*hullalah*" would be tied to the top corners of the "*kujrah*" and later a bundle of them would be hung from the ceiling. Thus, they would serve as a visible testimony that the "*hullalah*" – sacrifice had been made and would further serve to drive away the evil spirits and protect the new-born child.

It is very probable that this custom survives from an old pagan practice when the gods could forget about, or fail to notice, the sacrifices that were offered, and had to be reminded and challenged with visible evidence.

Ritual Visiting

A flow of visitors would follow after the "*jartig*" had been completed. Visitors would greet the "*nafasa*" and the father with: Praise be to God for the safety (of the mother and child), and May God bless it.

On approaching the mother to look at the child, every woman is expected to say: The blessings of the Prophet. And every man is expected to say: Blessed be the will of God.

The average Muslim, according to traditional belief, possesses the Evil Eye- that is to say, the power to inflict

harm through glancing admiringly at object – in a mild form. There are a number of formulas to guard against this, such as "*Salat al-Nabi*", "*Ma Sha'allah*" and "*Ajaba'Ani*", the first and last together being most commonly used by women.

Unbelievers, such as Christians, also possess the Evil Eye, but in more potent form. When admiring anything belonging to a Muslim, they have to say, "*Ma Sha'allah*" or "*Salat Al-Nabi*"; and this will act as a counter-measure. If they fail to say this, they are reminded of it by all present.

There are however, some people whose power to do harm by the Evil Eye is so great the "*Ma Sha'allah*" and "*Salat al-Nabi*" alone would not be a sufficient protection from them. Every village has one or two of these objectionable people. Nigerians, cross-eyed, one-eyed, or repulsive-looking men and women are the ones most suspected of this malicious power. An "evil-eyed" female is called (*Sahharah*" or witch. An "evil-eyed" man is called "*Sahhar*" or wizard.

When a witch enters the house to greet the "*nafasa*" and look at the baby, a tense atmosphere prevails. She would say in a loud voice:

This is the coolness of my eye
May a poker be driven into the
eye of the Jealous one.[36]

These utterances would prove to the "*nafasa*" and her relations hat the visitor had no malicious intent. But the relations and the "*nafasa*" herself would not be satisfied with this.

In order to make assurance doubly sure, they would repeat with the witch:

May a poker be driven into the

eye of the Jealous one.

Some of the women would even command the witch to repeat the required formula, saying: *Guli salat al-Nabi* (Say ,the Blessings of the Prophet).

The more apprehensive of the women would murmur:

Say, god is One.

O, Nagar

O, Poisonous reed of the cows

O, Prophet Noah

O, Reader of the Tablet

The Prophet Khidr has visited us

this morning (17)

the mother of the "*nafasa*" or one of her nearest elder relations would make a point of treating the witch in a discourteous manner. For example, she might greet her from a sitting position and stretch a feeble had and a reluctant neck for a spiritless embrace. This would vex the witch. And the feeling of vexation would blunt the sharp edge of her evil glances.

When a wizard entered the house, he would say: *MaSha'allah* loudly and ostentatiously. Murmurs of:

God is bigger,

O, Nagar,

The eye of envy

Let it be poked with a poker

Would be heard from some of the women. The

mother of the "*nafasa*" might greet him rudely by shaking his hand instead of kissing it – which is the polite way for a woman greet to a man. All this would cause him to lose his temper and shout angrily at the women and rebuke them for their lack of manners. Such self-righteous indignation would dissipate the power of evil inherent in his eyes.

On the departure of a witch or wizard, incense of sweet gum and alum would be burned in a "*mubkhar*" (thurible), to exorcise his or her spirit. Dust from the footmarks made by the wizard or the witch would be burned with the incense. Incantations would be uttered, and malicious gossip about the objectionable person was sure to follow.

If the child, some time later (say a week or two weeks) became ill, the evil eye was suspected of being the cause. The child would be covered with a sheet of cloth and a "*mubkhar*" with an incense of sweet gum and alum would be burned under the sheet. The fumes of the incense, inhaled by the child, would exorcise the evil eye. The sign of the cross would be made on the forehead and the palms. The witch or the wizard, it was believed, had entered into the child and could only thus be chased out of it. The alum and the gum, when finally burnt, were thought to look like the person suspected of having inflicted the magical harm on the child. The following incantation would be recited while the alum was burning:

O, Evil Eye, causer of harm,

O, unbelieving one,

O, Nazarene

I drive you with a driving force
The driving force of Fatima, daughter of the Prophet,
Not that of a rustic woman,
May the muddy water
And the potent pepper
Be in the eye of whoever
Has glanced with malicious endeavour,
Be it male or female.
The Prophet censed his she-camel with incense
And the evil cord of magic was broken
And he overtook his companions
The eye of the guest
Is as keen as a scimitar;
The eye of joviality
Is charged with mortality;
The eye of envy
Let it be poked with a poker;
The eye of the slave
Is an imminent danger;
The eye of the parent
Is a sword that cuts;
The eye of the old
Let a stick be pushed therein;
The eye of the bride
Penetrates inside;
The eye of the maid
Let it rust with dust;
The eye of the male

Put therein a sharp blade;

The eye of the girl

Goes to Hell

It has flown and gone away;

And fallen

And burst open.

By the firmament

And the constellations therein... etc. (18)

This incantation was the one most commonly used throughout the Sudan, with local variations.

It might well be asked why the so-called witches and wizard visited *"nifas"* houses where they were most definitely not welcomed. In the first place, it was assumed, the burning desire to hurt would make them go and see the new- born. Secondly, as they were not openly regarded as "evil", they were formally- if not sincerely – expected to observe the custom of congratulating a mother on the occasion of giving birth, and of asking to see the baby. The mother, her husband and their relatives would hypocritically blame a person suspected of the evil eye, if he or she did not pay a visit on the first day, in spite of the fact that they would have been relived if the visit had not been paid.

The Food of the "Nafasa"

Shortly after the *"jartig"*, the mother would be served with a special dish made from dry dates crushed and boiled into a thick broth and then mixed with clarified butter. It is a tasty meal and children would usually be given some of

it. Even grown-ups would sometimes have a handful of it. This meal, now disappearing in Omdurman, is still made in the village.

The Amulet

The "*Fekki*" would be asked to write a small "*hujab*" for the baby. This was called the "*hafizah*" or protector. The "*hafizah*" is written on "*Abu shubbak*" paper and folded into a rectangular shape and then bound in leather with strings to hang it from the baby's neck on to its chest and abdomen. When this custom was not observed, there would be continual nagging from relatives and visitors. The "*Fekki's*" wife and women-folk would be the most critical.

Sometimes, however, the parents would delay the "*hafizah*" until the child was due for weaning. This would be considered as cheating by the "*Fekki*". And would point out that it was necessary to provide the child with two written amulets, a "*hafizah*" and a "*hujab*". The father would then say:

The father : Can't you make the *hujab* bigger and do without the *hafizah*, o our master?

The Fekki : are you a hypocrite? Are you an unbeliever? Do you have doubts about the verses of Allah?

The father : No, our master. The verses of Allah can bring a man back from the dead.

The Fekki : Your faith, you folks, is on the wane.

The father : surely, my master, you saintly people can

make the difficult become easy. Make it a big on and I shall not decrease your "*bayad*".

The Fekki : A curse upon you, hypocrites.

And he would write a big amulet which would be folded inside a leather cover with cylindrical shape and grumble that the child had been cheated of his "*hafizah*".

The Rite of Naming or "Simayah"

This is an Islamic rite, still observed, and it occurs on the seventh day after birth. In *Kassala,* however, it is delayed until the fourteenth day.

During this interval the relatives used to be consulted about the child's future name there would be some controversy over this between the families of the parents. The father preferred to call the first -born, if a boy, by his own father's name. The other preferred her own father's name. the father's point of view would prevail the end. But if the mother's relatives were numerous, and her personality a strong then the name chosen by the father would later be ousted by that of her own choice, or by a relative of the same sex. As a former the child had died recently, then the child would be won the name of the deceased. If a boy was born after his parents had lost a child, then he would be called "*Awad*" (Consolation). If a girl was born after a boy had been died, then she was called "*Atiyyah*" (Gift)[19]. If the father had died recently, then the name of the father would be given to the child.

The name would be made public in the formal ceremony of the "*Simayah*" a fat ram or a sturdy he- goat

would be killed on the occasion of naming a boy, a he- goat, a cow, or any old sheep in the case of a girl. A good meal of "*kisrah*" and meat would be prepared and the whole village would be invited. The dervishes would be called to spend a portion of the night in religious singing and dancing and to pray for the child.

Most of the *effendiyya* are now content to kill the animal and to invite a small member of friends and acquaintances to an elaborate meal.

The names which were commonly given to males centered round the traditional Mohammed and its derivatives such as *Hamid, Mahmud* and *Ahmed*; the names of God prefixed by "*Abd*" (slave), such as "*Abd Allah, 'Abd al-Wahab*', etc"; the names of the Caliphs "*Abu Bakr, 'Umar, Uthman* and *Ali*"; the names of the Prophet's sons and grandsons *Hassan* and *Husayn, Tahir, Tayyib, Gasim,* etc.; and the names of the famous heroes and saints such as *Khalid, Abu Zayd* and *Al-Badawi.*

The names given to girls centered round the prophet's family, such as *Khadijah, Fatmah, Aminah, Ruqayyah, Ayshah,* etc., and some other familiar names such as *Hawa* (Eve), *Batul* (Virgin) and *Maryam* (Mary).

For twins the names of *Hassan* and *Husayn* (for boys) and *Umm al-Hassan* and *Umm al-Husayn* (for girls) were rigidly adhered to in the greater part of the riverain Sudan. *Hassan* and *Husayn,* the grandsons of the Prophet, were believed to be twins. Among the *Rubatab* of *Mugrat* and *Artul,* however, symmetrical names such as *Nasir* and *mansur, Al Safi* and

Safiyyah, were often used instead of the traditional names *Hassan* and *Husayn*.

The End of Confinement

The period of confinement used to be (and still is) forty days. The first two weeks prove sufficient for healing of the incision caused at birth. But good from prescribed that the mother should not go out of confinement until the longer period was over. If a neighbor was bereaved, a mother would not perform the ritual of consolation until she was out of confinement.

The fortieth day was called the day of "*Nufayd*" or casting out of dirt. The "*nafasa*" and a number of her female relatives and friends would prepare some food. Then they would carry this and all the clothes of confinement and go to the river. There, the clothes would be washed and the mother and her child would bathe. Songs praising the Nile and its unseen inhabitants would be sung. Most of them began in this way:

O, running water

O, daughters of the Hur. [20]

The food would be consumed and bits of it would be thrown into the river with invocations and chanting.

The customs of visiting the Nile on the last day of confinement, called "*al-Arba'in*" is still practiced even among the most urbanized communities. Evidently the chance of an outing to the Nile, under the pretext of ritual formality,

cannot be allowed to slip by the townee women who ar
kept in strict *purdah*. The custom seems to have come dow
from an ancient Nubian rite. For we know that the Nubian
of the ancient Sudan, like the Egyptians of old, worshippe
Nubian baptism.

The visit to the Nile usually occurred shortly befor
sunset. Perhaps the coolness of this part of the day wa
the reason for its choice. But it seems likely that a religiou
relationship between the Nile and the setting sun coul
have been the cause.

After this ritual, the mother ceased to be called a
"*nafasa*", and was expected to resume the normal activities
of domestic life.

Suckling and Weaning

A child was suckled for two lunar years before it was weaned. This period was extended by the mother in the belief that it would delay the next pregnancy. The "*Fekki*" would visit the child and bless it by reading verses of the Qur'an over its head and spitting[21] on it. Also he blessed the food by which it was going to be weaned usually honey or dates- in the same way.

Nowadays, the spitting has become a symbolic gesture in the villages and has completely disappeared in the capital and the larger towns such as *Atbara* and *Medani*.

without being dedicated to saints. These disappeared when the boy became adolescent.



The custom of dedicating the hair appears to have come down from an ancient pre-Islamic origin. There is evidence in old Arabian Poetry to the effect that men were abused for being still in possession of their original hair "*agigah*"(26). A similar term of abuse is to be found in the Sudanese epithet:

"The half-wit with a plait".

The plait being a visible symbol of infancy. *Dhut-Nuwas,* king of Sheba, is said to have had two plaits dangling form his head, as a boy(27). The Jews also seem to have known the custom of dedicating the hair- as in the story of Samson.

The Hair

The hair of the child was given special regard. The hair of a newly-born male was dedicated to the hair-saint of the father's clan; the hair of newly-born female was dedicated to the hair-saint of mother's clan(22). Presumably, the hair of a child was thought to belong to the patron-saint, and it was the duty of the parents to give it back to him at

the earliest possible opportunity.

If the patron-saint's tomb happened to be on the other side of the river, the child could not be taken there before it was seven months old. There was a taboo against taking children across the river before the age of seven months- probably a relic of the ancient Pharoanic worship of the Nile. This taboo came to apply to all rivers of the Sudan.

If the saint's tomb happened to be far away- say a day's journey or two days journey by donkey- the giving back of the hair, that is to say cutting it at the tomb, would be delayed until the child became older and more able to stand a long ride. As in this case it was unpractical to allow the hair to grow without being shortened from time to time, the front part of the head only would be left untouched. When the child was at last taken to the tomb, a kid or a lamb would be killed, presumably as a substitute for the hair that had had been cut prior to the visit. It is interesting to note that people who lived near the tomb of their patron-saint, very often were satisfied by removing a small portion of the hair at the tomb and finishing the rest when they returned to their homes. No animal sacrifice would be made, but presents of dates and corn would be taken to the tomb. These would be collected by the traditional *"farras"* (Keeper of the tomb).[23]

Some claim would have more than one patron-saint to whom hair was dedicated. For instance, in *Shirayk*[24], the front hair was dedicated to *'Hamdallah'*, the back hair to *'Ijil'*

Abu Sa'idah[25]. In this and similar cases, two journeys had to be made. And if the visits were delayed until the child was seven or eight, two sacrifices had to be offered. Hair saints were believed not to forgive any negligence. Stories are told about women who had to make the journey to a distant tomb in order to appease the patron- saint who caused to be ill because the hair sacrifice had not been made.

Often; when a child became ill, the help of a powerful saint, other than the patron-saint, was invoked and a portion of the hair was promised, to be cut at his tomb. On the recovery of the child, a plait of hair- called "*ganbur*" – would be left to grow until a journey was made to the tomb of that saint, where it would be removed. An animal sacrifice – a ram or a he-goat – would be offered on the occasion, together with presents for the keeper. Sometimes in desperation parents would invoke the help of a distant saint to cure a child. The child would have to go on pilgrimage later in life to the saint's tomb and shave his "*gambur*" there. One hears about men who had to make such pilgrimages at the age of thirty or even later than that.

"*Ganburs*", whoever, were sometimes allowed to

The Changing of Milk-teeth

When children began to lose their milk-teeth, they would throw each one as it came out towards the rising sun, together with one grain of corn and piece of charcoal, saying:

O, eye of the sun,

Take the tooth of the donkey

And bring me the tooth of the gazelle[28]

The grain of corn probably represented the white .tooth and the charcoal the black decay which blemished it.

First Ornaments

At the age of seven months, a boy- child would be adorned with a silver disc worn at the end of a string round the neck, called "*hfidah*", which was supposed to have magical power, as certain magical formulas were inscribed on it. It was removed when the child became five years old or so.

Sometimes, when the life of a small boy was thought to be threatened because of the recent death of one or two brothers (as perhaps would happen during an epidemic), one of his ears would be pierced with a silver or iron ornament. This was probably originally meant to disguise a boy as a girl and thus deceive the Angel of Death.

Scars

There were two kinds of scars, homoeopathic and ornamental. The former were called "*naddarat*" (literally: seers). These were little cuts inflicted on the temples to relieve (or rather distract from) the pain caused by sore-eyes. The latter were called "*Shulukh*", plural of the Arabic word "*Shalkh*"[29], which means origin. These were big cuts on the checks made horizontal or perpendicular according

to a traditional pattern. They appear to have been originally intended as tribal marks[30]. But they acquired an important ornamental value in the case of girls, so much so that a girl who was not scared in her childhood, would, in spite of the pain, demand to be scarred for the sake of beauty when she became conscious of these things in her adolescence.

Games

Apart from the universal games of hide- and- seek (*dususiyyah*), five jacks (*maddu*), hunt- the thimble (*faddat*), dolls of brides and mothers (*bith la'ab*), etc. the games which used to be played- most of which are now dying out- may be grouped into two classes: boys' games and girls' games, and further subdivided into day and night games.

By day, the boys' games were mostly of a leisurely nature. Some of them however, were strenuous. And some were painful and obviously meant to train boys for the ideal of manhood according to Sudanese conception. The leisurely games began as simple chess-board and chance games. The simplest chess-board game was "*safrajat*". This was played by two boys, with there pieces of equal value for each (usually date-stones versus pebbles), and nine squares (3 by 3) made by scooping hollows on the sand. The first boy succeeding in getting all his three pieces on one row, not counting the original row in which he had placed his pieces at the beginning, would be the winner.

"*Sijd*" was more advanced than "*safrajat*". This was played with twelve pieces for each of the two players

(camels' dung versus date-stones, for example) and twenty-five squares (5 by 5). The pieces had equal value, and a player lost his pieces when it was surrounded by two of his opponent's pieces. "*Sija*" requires more skill than draughts. And many adults never grew out of the habit of playing it to while away the time.

The simplest of the chance games was "*Al Fil*" (literally, the elephant). This game is similar to snakes-and ladders, or perhaps "Ludo". A circular track of squares would be made by scooping hollows on the sand, the innermost square being the last in the track. Then a row of five or six squares would be made near it. Four short sticks cut from the branches of the date-palm, and having the back of the flat side scraped, would be used as dice. These were called "*Tab*" (plural of the word *tabah*[31]- palm branch). The four sticks with the green sides upward counted as six (nicknamed "nom": sleep), with the white sides upward counted as four (nicknamed "*Arbash*"[32], white), with one green side upward as three (nicknamed "*talli*", short for *talatah* three), with two green sides upward as two (nicknamed "*garnayn*[33]: two horns), with one white side upward as one (nicknamed "*walad*"[34]: boy or jack). A throw of "*walad*", "nom", or "*arbash*", gave the player a second chance. It was necessary to get a "*walad*" to be able to start. After reaching the innermost square, it was necessary to get a "*walad*" to transfer to the five squares in a row. And each of these squares required a "*walad*". In the last square the player's piece became a "*fil*" (an elephant), and he would

start again from the very beginning with increased power of movement. For a throw of "*garanayn*" (two horns) the "*fil*" would cover five squares counting thus:

Two horns

One and two

And elephant, elephant

And the one eye too

A bonus of three would be added to each throw. And this would enable the "*fil*" to overtake the other pieces, and each piece overtaken would have to start again. In this respect the game resembled snakes-and ladders. The losers would be compelled to give the winner a piggy-ride.

A more advanced chance game was "*Al Tab*" (the sticks). This was played with forty-eight squares (12 by 4) and twelve pieces for each of the two players on teams.

A team consisted of two players only. Each player (or team) aimed at replacing the others' pieces by his own. A "*walad*" throw was required for the start, and it was also necessary in order to attack an opponent's piece. The game resembles backgammon in many respects.

These games were played while the boys were watching the goats, or whilst resting on the way to do running errands for the family.

During the rainy season, boys would give up "*Sija*" and "Tab" or laying snares for birds and molesting scarabs. These poor insects would be pinned by thorns to wheels fashioned from "*dura*"- canes in imitation of the water-wheel, and then frightened into whizzing round and round

by means of fire.

The most important of the games of manliness and strength were "*shatarah*" (literally: courage), "*butan*" (dueling) and "*Sura*" (wrestling). "*Shatarah*" was a game of bravado. A boy would scorch the back of his arm until the skin was burnt away with a small stick whose edge was red-hot. The more brands he on his ram, the prouder he was of himself. In upper Blue Nile, according to General *Neguib*[35], "*Shatarah*" was preformed by exposing the skin to a burning cob of "*dura*" the hot moisture of which would scorch a bigger portion of the skin. General *Negubib* who practiced the latter from of "*Shtarah*" as a boy, speaks of it with approval in his autobiography and recommends it as a good training in endurance.

"*Butan*" was dueling with sticks cut from green branches. Two boys would strike one another an equal number of strokes. The boy who wailed or displayed pain was considered, the loser and would be greatly ashamed of himself. "*Butan*" did not stop at boyhood, for young men resorted to it in order to show of before the girls, or in order to settle a private quarrel. But in this case whips made from the hide of the hippopotamus were used[36].

"*Sura*", that is wrestling, was performed by one boy holding the side of the opponent above the waist and trying to throw him on the ground or skillfully cause him to fall down. A more claborate form of wrestling practiced by older boys and sometimes by youth, was performed in the following manner. A boy would draw a circle on the

sand and plant his right foot therein. Another boy hopping on one leg would attack him in an attempt to remove his leg from the circle. If, however, the attacker's uplifted foot touched the ground, the boy in the circle would win. The game is still widely known in the more remote villages.

Games at Night

The moon-lit nights offered the best opportunity for play. The night games were numerous. But they can roughly be divided into two categories: Games played by older boys, adolescents and young men, and games played by smaller boys. "*Harrayna*" and "*Shilal*" were the most widely known of the former category. To the latter category belong "*Al Miz*", "*Ghurab*", "*Hay-lab-lab*" and the game of the fox "*Al tha'lab*".

"Harrayna"

This expression literally means we have become hot; in other words we are ready and well-prepared. "*Harrayna*" required two teams, normally about ten each. They would stand about a hundred yards apart, each in a row. The place where one team stood, would be the goal for the other team. They would all prepare for hopping each holding a leg back with one of his hands. Then one of the teams would offer to start off. They would be the defenders, and the others would be the attackers. The defenders had to choose one of themselves for the role of "*arus*" (bridge). The duty would be to defend the bride from any attack until "*she*" could

arrive safe at the goal. Any player who was forced to, or by any chance happened to, let go his leg, or fall down, had to quit the arena of the game. If this occurred to the bride the side that was defending it would lose. The defenders, each pretending to be the bride, would try hard to engage the attackers until the real bride was safe home. A lot of time and energy would be spent in trying to spot who was the bride and also in overcoming as many opponents as possible. Then the sight of a lone hopper dashing rapidly across the furthest side of the playing ground would direct attention to the real target. *"Al'Arus, Al'Arus"*, the attackers would shout. And then there would be a furious sally, in the hope of preventing the pride from reaching the goal.

Harrayna used to be played in almost every village. And sometimes girls (tom-boys) took part in it. Now it is practiced only in the schools during the day-time.

"Shilayl"

This game was known among the ancient Arabs by the name of *"Udzaym Waddah"*(37) or the white bone. The Sudanese name *"Shilayl"* is also Arabic, derived from the root *"Shalla"*, to scatter or chase.

A white bone would be shown to all the players until each was satisfied that he would be able to identify it. Then one of the boys would hold it in his hand and shout:

Where is Shilayl?

And the others would shout back,

It was eaten by a brute

Then again he would shout,

Where has Shilayl gone?

And again they would reply

It was eaten by a crocodile.

Then he would throw *Shilayl* (that is, the bone) into the air. And all the players would rush to find it. The first to find it would throw it the next time.

Sometimes girls took part in this game. Nowadays it has disappeared from most of the villages of the Riverain Sudan.

"Al Miz"

"*Al Miz*" means the wicket. It was a form of cricket played by the smaller boys. The inside of a small ground would serve as a ball. The players, however, played as individuals, each for himself, and not as teams. Each boy would try to throw the ball as far as possible, and the others would run in order to get it and hit it to the wicket therewith. The final winner would be given piggy-back rides by all the losers.

"Ghurab" or Crow

A boy was blind-folded and led some distance away. He was called "*Ghurab*" (Crow). The other boys would sit down in a row. The first in the row (beginning from the right) would call out, disguising his voice as much as possible,

Ghurab (Crow)

The crow would reply: (*Ghaq*) in imitation of the sound by the crow. Then a dialogue would follow in this manner:

Boy	*Eat the dust*
Crow	*I have eaten it*
Boy	*A ship has come to you*
Crow	*She has passed by*
Boy	*There is a silk ribbon therein*
Crow	*It has passed by*
Boy	*There is the powder of Sandalwood therein*
Crow	*It has passed by*
Boy :	*There is that which will surround you and destroy your teeth therein. Guess which?*

The crow had to guess which of the boys was calling out to him. If he made a wrong guess, another boy would do the calling out in same manner. If he guessed the right name, and he was bound to do so after one or two tries, the boy whose name was guessed, would be given a piggy-ride by the crow who had, though blind-folded, to find out the place where the other boys were sitting. His straying about caused tremendous laughter.

We may well note the meaning of the calls: "A ship has come to you, etc". the ribbon of silk and the powder of Sandalwood are both items closely connected with circumcision and marriage.

"Hay-lab-lab"

A boy sat down some twenty yards away from a group of boys who stood up in a row. The boy wrote down a number on the sand. Then he called out to the first boy in the row:

O, first

The latter replied:

Hay-lab-lab (a sound imitating the he-goat, which was meant as a rude return).

The writer would ask:

What number have I written?

The latter would try to guess the number and would reply:

By you faith,

Which may pluck out your eyes

Is it not the number nine (for example)

If this was a wrong guess, the writer would ask the second boy using the same words. If a correct guess was made, he would shout:

Saddle and ride

Whereupon the boy who made the right guess would try to get a piggy-ride from one of the other boys. But they would run away in the direction of the writer of the number. And he would chase them. Whoever was touched by him, had to give a piggy-ride.

There were many variations on "Hay-lab-lab" in some of which the boys used very obscene language, such as:

The .... of your father has come to you

and the others would reply:

It has begotten us and begotten you

"Al Tha'lab"



A number of boys sat in a circle on the sand. A boy held a turban in his hand, one end of which was made into a knot (and filled with pebbles by boys who preferred foul play). He moved round behind the boys. He said:

The fox

And the others replied: Has passed, has passed

The chorus went on as follows:

The fox *The fox*

The boys *Has passed has passed*

The fox *In his tail,*

The boys *Are seven knots*

The fox *And the garment,*

The boys *Has fallen in the well*

The fox *And the owner thereof*

The boys *Is one who is a pig*

Then the "fox" would stealthily drop the turban behind one of the boys. He would continue in leading the chorus as before. If the boy behind whom the turban was dropped did not notice what had happened, the "fox" would beat him with the turban and would chase him round the circle until he made a complete turn round it. If, however, the boy discovered that the turban had dropped behind him, he would chase the "fox" and beat him until he would make a complete turn round the circle and sit where he had been. Then he would play the role of the fox.

Al tha'alab (the fox) seems to have come to the Sudan from Egypt, because some of the words in the chorus did not resemble the common Sudanese dialect.

It is also exactly like the common English game:

I sent a letter to my love
An on the way I dropped it
Some one must have picked it up
And put it in their pocket

The Games of the Girls

The girls, whilst looking after the goats, running errands for their mothers or collecting firewood, played games very similar to those played by the boys during the day-time. But they had their own feminine games in addition to that. And these were mainly singing and dancing games which were collectively called "*Al Hirdifa*"- an onomatopoeic word coined in imitation of the rhythmic movement. *Al Hirdifa* had many variations.

Two girls faced one another and each prepared for a bunny hop. Before they began the dance, they sang. Each praised her father and abused the others. For example:

Al Hirdifa
My father
The rider of the red steed
With the blazes on its ankles
And your father
The rider of the cat
That walks and mews.

Sometimes, they would sing of future suitors whom they would reject. For example:

O, son of the knock- kneed

O, peasant growing okra

I was not bred for your sake

I was bred by the Shayqis

The fighter, the gunners

Muhammad, my brother is without an equal

His camel trots along, with a shackle

Sometimes the girls sang obscene songs, abusing each other, or lampooning an imaginary girl who served as a symbol for girls whom they did not like. For example:

My father came

From the prayers

And struck the wench

On her ....

The song of "*Um-gayradun*" was one of the best known songs. And it was sometimes sung by little boys. "*Um-gayraun*" is a green little bird which was believed to be very responsive to singing. The song went as follows:

O, Um gardun,

O, pilgrim-bird

Your son is a bride-groom, O pilgrim-bird

Bought a sari and a chemise

She (that is the bird) *is in her guest-room*

She is giving supper to her guests

She is sitting in her kitchen hut

She is fingering her ....

At night the girls songs were more elaborate and, far from being obscene, were in fact religious hymns. Small girls of six and seven, more grown-up girls of twelve and

thirteen and maidens of seventeen and eighteen would gather and light a fire and boil grain in a pan which would later be offered as an oblation to God, so that He might protect the village from epidemics and disasters. Whilst the grain was being cooked, which normally took about an hour, they sang:

The offering would withstand
The greatest of Calamities
It will drive away the disaster
O generous one accept it
It will drive away the disaster
O Prophet accept it
It will drive away the disaster
O saint Ezaib accept it

Then they would partake of the grain, and then walk together and sing whilst scattering some of the grain round. The following song (or hymn) was common in the villages of the *Ja'aliyyin*:

O Prophet, your basin is for all
And who but you can shoulder our burden?
O Prophet, your basin is for all
And eight paradises, he with the hallowed mark possesses
O, key of the paradise of the Huris
Praise be to him our precious Prophet

Nowadays, such processions can be seen nowhere, not even in the remote villages. Older people who still remember the days of these processions, are inclined to think that life is now generally harder, and that there are

more diseases, because the village-girls no longer make the traditional offering "*karama*" and no longer sing the praises of the Prophet. It is interesting to note that the obscene songs have not ye died out.

Folk Stories and Night Entertainment

Apart from the games and the songs, children were entertained at night by their mothers and grand-mothers, who told them stories and gave them verbal riddles to solve. All these were called "*huja*" (wisdom). "*Huja*" was strictly confined to the night. To tell a story or a riddle, by day (i.e. idleness during the day), would cause both narrator and listener to be poor or ill, later in life. There was a traditional way of telling a riddle. It would be put in this way:



I compete with you in wisdom

I shall not deceive you

A good has come unto me and unto you

It has eaten your supper

And run away from you

The followed the actual riddle. For example:

It has entered the bush

Without a hiss

Answer: the shade.

Some riddles, intended for the younger children, would be less elaborate. For example:

There was a woman

Who had a boy and a daughter

The woman would be an aunt or a sister or a relative known to the child who was que: d.

The stories began with the introduction: it is said the that

There was an old ....

And ended with the formula

It has ended

It has disappeared

In the hole of the smallest of us

The following are examples of the stories which were told.

The wicked Uncle

A man travelled on pilgrimage to Mecca and left his son and daughter with his brother. Now it was the rainy

season. The uncle made his nephew and niece work very hard until all the seeds which he had were sown. Then he made them weed out the grass. And later, when the first cobs of corn appeared, he made them erect two grow-perches and spend all the day there, sitting on them, to frighten the birds away. And he forbade them to eat any of the corn without his permission.

One day, however, the boy got very hungry and ate a cob of the corn against the advice of his sister. When the uncle noticed the missing cob, and made enquires about it, the boy told him that it had been eaten by the crows and the sparrows.

The uncle got very angry. But he concealed his anger and said to the boy laughingly: "See that the birds do not get any more cobs, or else I shall cut off your ears".

Then sometime later he called the boy by his name: "Muhammad"; the boy went running to him. The girl crept along behind to find out why her brother had been called. The uncle said to Muhammad, "your hair is too fuzzy and too long. You should have it shortened. Get me the blade and some water". He poured water onto the boy's hair and began to shave the back of his neck. Then he said, "what happened to the cob of corn?" The boy answered, "A sparrow or a crow got it". Then the uncle said, "Did you not cut it off with your own hand, my boy?" "No, uncle", said the boy, "I did not do so".

"You did, my boy", said the uncle. "You did. I saw you with my own eyes. You cut it off like this". And with

the blade he cut off the boy's head. Then he buried it in the ground laughing hideously.

The girl saw and heard all this. The uncle turned round and saw her hiding behind the corn. He made for her, but she ran for her life. So the uncle got on his horse and followed her. When he drew very near, she cried in despair, "O Mother Earth, swallow me". And the earth opened beneath her and closed again after she had gone in. She remained there for a long time, the uncle keeping watch nearby.

One day the earth opened and she came out. A caravan was passing by. The girl stood in the road, right in front of the caravan, and began to weep and say:

O people of the caravan,
My father is dark and tall;
His camel roars aloud;
His whip cracks like lightning in a cloud.
His dress is silken;
His enemy with grief is drunken;
Is he among you, O people of the caravan?
My uncle, my father's brother,
Slew Muhammad, the son of my mother
Because of a cob of corn,
Which, by a sparrow borne,
Was carried on the eastern breeze
Far beyond the seven seas



Her uncle hurried to the scene and shouted, "This girl is wicked. She is a liar. She is a runaway. Bind her and

deliver her to me".

"No, No", said she, "Please do not do that. He is a villain. He killed my brother. Protect me from him".

The people of the caravan said, "You are a naughty girl, obey your uncle". They wanted to bind her. So she begged the earth to swallow her again, and it did so.

The uncle did not despair of seizing his niece in the end. And she did not despair of finding her father. And one day the earth opened again and she came out. Once again a caravan was passing by. To the people of this caravan she cried out as she had cried out before. But the uncle warned the people of the caravan of her naughtiness and they helped him try to catch her. But the earth swallowed her as it had done twice before.

And so it happened several times, until the girl began to despair of ever finding her father. And her uncle thought to himself "I shouldn't be wasting my time following this little scorpion from place to place; I must get back to my land".

Just as he said this, a caravan was passing by, and the earth opened and his niece came out. She wept and called to the people of the caravan:

O people of the caravan,
My father is dark and tall;
His camel roars aloud;
His whip cracks like lightning in a cloud.
His dress is silken;
His enemy with grief is drunken;

Is he among you, O people of the caravan?
My uncle, my father's brother,
Slew Muhammad, the son of my mother
Because of a cob of corn,
Which, by a sparrow borne,
Was carried on the eastern breeze
Far beyond the seven seas

A tall man came forward and, recognizing her as his daughter, took her in his arms and said to her: "Where is your uncle?" Then she pointed to the place where her uncle had been, but he was trying to mount his horse. The horse kicked him and ran away, and he became very frightened as the girl's father drew near with the sword of retribution naked in his hand. He cried, "O earth, swallow me". But the earth would not listen to his prayer. The father cut off his head. Then his body was burnt and his ashes were thrown into the river.

Zalote and the Hyena

Zalote was a scabby belly-goat. He had three lovely sisters. They used to go out for an hour or so in the morning and the afternoon. They had discovered a rich pasture where was an abundance of delicious grass. But Zalote always remained behind in the village where there was nothing to eat, except rags and dirt and sometimes the stones of dates. He was very lean and seemed to be getting leaner, whilst his sisters were getting fatter and fatter.

One day he said to his sister, "You grow fatter and

fatter. What do you eat?"

Now they were afraid of his knowing about their rich pasture, for it was the domain of a fierce hyena. Knowing that their brother was very greedy, they were afraid that he might stay there until sunset, when the hyena would come and eat him up. So they said, "We eat rags and dirt and we don't find any date-stones where we graze".

He looked hard at them. "They are lying", he thought, and he said to them "I don't believe you. Let us put our hooves down our throats and vomit up samples of what we have eaten".

His sisters did so, because they were afraid of his anger. Their vomit was green and rich, but that of Zalote was dirty and raggy. So he said to them, "Where do you find this rich grass?" and he insisted that they should take him to the domain of the hyena.

But they said to him "Zalote, our brother; you are greedy and we know that you will not leave that place once you have tasted the richness of its grass". However, he insisted. So they took him with them. He was very pleased when he saw the pasture and began to eat, and forget all about the warnings of his sisters and the hyena. At sunset, he was still there, eating with great relish. His sisters begged him to leave, but he seemed not to hear them.

Then came hyena. First she approached the nanny-goats. She said to the first, "What is that thing of yours that shrieks?"

"It is my tongue", answered the goat.

What are those dangling things?

My ears, of course, she answered

And what are those things that shine?" asked the hyena

My eyes

And the little thing behind you, what is that?

My tail, answered she.

The hyena looked hard at her and she trembled. And the hyena swallowed her up. Then she questioned the second goat in the same way, and the second goat answered as feebly as the first, and was also swallowed up. And so it was with the third goat. Zalote was still eating.

"What is that thing of yours that shrieks?" asked the hyena, coming up to him.

"It is not a tongue which shrieks. It is my bugle of war", answered Zalote.

"Then what are those dangling things?" she asked.

"Those are my shields, which never fail me".

"And those things that shine?".

"The fire of my eyes".

"And what are those two things on your head?".

"My pears", replied Zalote.

Then the hyena made for him, but he was not afraid. He charged the hyena and with his horns he ripped open its belly, and his sisters were spurted out. They were not dead, and were very pleased to be saved. And from that day onwards the pasture was completely theirs, with no hyena to molest them.

Education

Education is a subject that deserves a complete study by itself for it covers so many fields. Take for example traditional training in matters of agriculture, hunting, grazing, fighting and local industrial skills. Each of these requires a wide survey of the social strata of the community. In cases of very highly skilled trades, construction of water wheels, all these were termed "*basarah*". The training was done by families and passed from parents to sons and daughters according to the nature of the skill. Treatment of mental and nervous diseases and much of medical lore was part of the training of the "*Fekki*"- the religious teacher. Training in fighting was a tribal business. Hunting of crocodiles and hippopotami was often a craft passed from father to son.

Religious education formerly covered a broad field much of which has not been taken over by secular education; part of it was passed by oral tradition. This was the greater part as every man and woman had their share of it according to the nature of the religious order

to which their family owed allegiance and the traditional *fekki* in whom they believed. In many cases part of the formal training of education *sufi* leaders was done by oral tradition. Sometimes, some of these would-reach high place of eminence in the order, either by gradual promotion, or by the bounty of God, as in the case of *Salman Wad al A'wadiya*. Whilst he was carrying jar of "*marisa*" in the service of one of the *marisa*-selling slave-women, he was encountered by a group of saintly travelers. They asked him to give them a drink, he gave them of his *marisa* without hesitation. This was an act of spontaneous generosity. The *marisa* was transferred into water in the mouths of the holy men. And they prayed for *Salman* thus: "May give you of the cup of the elect whereupon he was seized by he ecstasy of the elect and became one of the foremen saints.

Vernacular literature abound in the stories of saints. Also it contains much of the fundamental teaching of Islam including the standard *sufi* biography of the Prophet and many anecdotes from the traditions. The average man and woman were thus not entirely ignorant of their religious background. Many knew far more in this respect than their sophisticated counterparts of today, especially among the younger generation, despite the fact many of these can read and write.

Formal literary education was provided by the institution of the *Khalwa*. The word is derived from an Arabic root indicating seclusion in the wilderness. The idea was that the religious teachers sought to be alone in pursuit of

mystics meditation or asceticism. Then as Quran teaching and all literary education became associated with the *fekki* who practiced seclusion and asceticism in one way or another, the word *Khalwa* came to mean the Quran School. In a way the term admirably describes it, as most of the *Khalwas* during the *Funj* days, and even during the Turko-Egyptian regime, belonged to individuals or family groups the secluded themselves away from the moral struggle of tribal and inter-tribal life. As time went on, the prestige of the *Khalwa* was such that even the most powerful chieftains paid homage to the *Khalwa fekkis*. This may partly explain why the *Mahdi* succeeded in a comparatively short time against apparently far greater odds. This may also partly explain why the more recent national movement found it necessary to seek the patronage of the powerful sects of the *Khatmiya* and the *Ansar* before any effective negotiations could be started. A study of the religious orders of the Sudan, how they started and how at last they reached unchallenged favour or disintegrated falls outside the scope of this paper. We may refer, however, to the various books of the *Manaib* and *Tabaqat* and to some of the contemporary works on this theme such as articles in Sudan and Trimingham's Islam in the Sudan. Even these last two unquestionably very able treatises represent only pioneer work on the subject.

An example illustrating the element of changing religious orders may be seen in the practice of *Shabab*. We will be concerned mainly with the manner in which pupils, particularly the younger ones of the pre-marriage age group

(that is to say between seven and eighteen) conducted their daily school practice.

The *Khalwa* teacher recovered no fees as such. He was professional religious mendicant- a "*fagir*". In some areas he was also a peasant smallholder or occasionally a trader in a small way, this was the time of the "*Fugara*" of *Damer*. The *fekki* lived mainly on small presents made to him on certain days of the week. Tuesdays and Wednesdays, and on other occasions when an individual pupil celebrated reaching one step further in his studies. Even in peasant and trading communities such as *Damer* and Berber, there would be junior instructors whose livelihood mainly depended on the gifts of their pupils. The leaders of the orders would receive presents, symbols of respect and prestige from the secular tribal Chieftains and the Kings of *Sennar*, during the Turkish regime the provisional governors played this role- e.g. *Hussein Pasha Khalifa* in relation to *Al Sheikh Muhammad al Khkeir Berber*.

Tuesday was the day for collecting firewood, for the *Khalwa* day went far into the night and began a good deal earlier than sunrise. The *fekki's* own household would get its portion of the wood. Gathering of firewood was called *fazah*. The word is derived from the Arabic root *faza* which denoted communal gathering in face of danger. No servility whatsoever was attached to *fazah*- it was just a duty, and it was an occasion for an outing. The pupils would do the hewing of wood last of all, spending a good portion of the morning chasing rabbits, swimming of fighting among

themselves.

Wednesday was the day of the *karama,* the offering. The pupils would go out in small groups of two or three or sometimes singly, and beg grain and beams from the houses of the village. What they gathered was collected together in the evening. A pot of *balila* would be made from which all members of the *Khalwa* could eat. The remainder of the grain and beans would go the *fekki's* household.

The occasion denoting the promotion of a pupil is called *sharafa.* There are *Suras* of the Quran called *Sharafas* (derived from *sharaf*= honour) arrival at which, as the pupil progresses in his effort to learn the Quran by heart, indicates a definite stage of achievement. A pupil may leave the *Khalwa* and say later on that he had indeed not learned the entire Quran by heart, but reached the *sharafa* of *Yasin* (for example). The more elementary the stage, the smaller the present to be expected and the humbler the food to be provided on the occasion. Meat is to be expected on the occasions of *sharafat Yasin, Al Furqan, Al Kahf, Al A'raf* and *Al Baqarah.* The "well – to – do" would sacrifice a ram on each of these or similar occasions. A calf might be sacrificed on the occasion of "*Al Baqarah*" which may be likened to a graduation day. The presents given to the *fekki* on these occasions varied according to the wealth of the pupil's father or guardian and the measure of his generosity.

The *fekki* also received other presents called *bayad*- to which we have already referred in our first article- for treatment of ailment such as headaches, nausea, mental

depression and many children's maladies. For more serious diseases and upsets help would be sought from more specialized religious medical authorities. Very often *Khalwa fekkis* would not touch serious mental cases because (according to them) they have covenants with the *jann* not to interfere with their victims. The latter would spare them and their children from their malicious onslaughts and mischief in return. The *Ghubush* and the *Maghazib* refused mental cases.

A pupil of the *Khalwa* was called *huwar*, plural *herian*. The word is Arabic for a young camel, the metaphysical message denoting that a pupil follows his master as the young camel follows its mother. A child would go the *Khalwa* as any age between five and fifteen, the earlier the better. A slave- woman presenting her master's son to the *fekki* is reported to have said.:

Beat him if he tells lies. Teach him manners. The Quran is fortune given by God's destiny.

This saying is important so far as it denotes that the *Khalwa* for the majority who did not intend to get through the entire Quran and later on follow a religious career, meant a term of formal character training. The occasions of the *Fazah* and the *Karama* provided ample opportunities for developing what is now called the "team spirit". The manner of behavior required in front of the Sheikh or his representative was later to become the prototype of behavior in the presence of one's elders. The *heiran* had many occasions to eat with their *fekki* and his juniors and these were the occasions of

celebrations referred to above and also on the occasions of *Sadaqa*, the food offered in commemoration of the dead. On most of these occasions there was meat and this was a rare item of food to be encountered only occasionally. Hence the manners of communal eating practiced in the *Khalwa* could be most instructive. A story is told by way of *humour* to indicate what would happen, as an example of bad manners, on some of these occasions. A dish of rice crowned with meat was served, round which sat a group of the *heiran*. An uncouth outsider, of middle age, came to the occasion and was seated by the host among the *heiran* who were actually tricky and naughty, although apparently observing good manners of eating. The old man coveted a delicious bit of meat on top of the crown and began to work towards it, manicuring into his side of the dish; whilst he was doing this, a naughty boy was burrowing under the mound of rice and bead, towards the same objectives. At the critical moment, the morsel tumbled gaily into the boy's part of the dish. The old man got up shaking his fist in fury and protested, "this what comes out of eating us with small brats".

The discipline of the *Khalwa* was harsh. "Bastinado" and hitting with firewood sticks at random were among the commonest of disciplinary measures. The saying is that when a *huwar* is presented to the *fekki*, the family of the *huwar* say, "to us belongs the bone, to you the flesh", thus indicating that the *fekki* could beat, flog and chastise the boy as much as he thought fit to do. Nevertheless, the system

was not entirely devoid of sound educational policy. The brashness itself was part and parcel of the ferocity of the environment at large. The training of the *herian* fitted them better fro survival than those who had no training in the *Khalwa* at all. A part from this, the methods used in teaching religions at large were on the whole based, though sometimes rather crudely, on sound educational principles. The little *huwar* of five, six or seven at first went to the *Khalwa* and was given sayings to chant- these contained a big nucleus of knowledge, such as the ninety-nine names of God. Then he was made to learn the letters of the alphabet, the sand being used for illustrating their shapes. He then began to make similar shapes, by tracing at first and later from memory and then the simple combinations of consonants with long and short vowels would be taught. By this time the would be given a wooden tablet, and the characters were written on it by a more advanced *huwar* or the *fekki* himself. Later on he began to write the letter. The next stage would be to read verses from the shorter *suras* of the Quran, beginning with the *fatha*. Then later he began to write. Thus the methods of the analytical approach to the alphabet and the synthetic method of learning to read and write a sentence as a whole were combined. I believe this is a faster way of teaching the elements of dictation than the method now used of progressing analytically from the individual character to the formation of words, then sentences. *Kitab al Alfal*, the standard text-book now used in the elementary schools in the Sudan, timidly partakes of the synthetic method when

it introduces the individual characters and parts of words or sentences like: *Hamad wa-al-jamal* or *al jamal jamal Hamad.*

The tablet (Loh)

There was always a stock of wooden tablets in the *Khalwa*, but very often individual *huwars* brought their own; this was very common in the case of the more advanced *huwars* who took a pride in their tablets (*Lohs*). The tablets were made very commonly from usher and sometimes from *Hijlij*. The usher *lohs* were cheaper and had a coarser surface, the *hijlij lohs* were dearer and their surface was smoother. However, the saying is that usher was quicker in making the *huwar* learn the Quran for he was ambitious to reach the stage when he would use the better *loh* of *hijlij*. Perhaps the relative scarcity of the *hijlij* in the riverain regions accounts for this saying. The tablet is rectangular or square in shape, with a star or crescent-shaped top. The *huwar* used to write the day's portion to be learnt on one side. The portion he wrote each day was the one he was expected to recite on the training of the following day. So by midday both sides of the tablet were written on.

Each morning the *huwar* took the *lohs* to wash off the writing he had already recited. As this Holy Writing was not to be washed at random anywhere, there was a special stone basin (*hajar al mihaya*) provided for this task. The water washed into the basin, however, go splashed all round it and the act was more symbolic than anything. However, this washing water was not later used for drinking for the

purpose of getting the Baraka (the blessing) of the Quran, the reason being that the surface of the *loh* was always whitened with stone before writing. So what washed off it had the lime-stone is not used, the writing is therefore not very clear and the ink does not easily stick to the wood. The lime-stone which is used for whitening the tablet is the crude stone. Many of the riverain hills abound with it.

The ink used for writing the Quran, and indeed for all writing, was made of soot, gum Arabic and water. First gum Arabic would be ground into powder, then soot from underneath the cooking pots would be gathered and carefully mixed with the gum. The percentage of the soot had to be reasonably high, round 70 percent. Then little lumps were made of the mixture. These were placed in a clay jar later to become the ink-pot from which smaller ink-pots were supplied. Small empty glass jars could equally serve for this purpose, but the clay jars were believed to be better for maturing the mixture placed in them, because of being porous. The lumps of ink were not placed directly one upon the other but separated by layers of cow's tail hair. Rags were believed to be ineffective for the purpose of separation as they tended to become messy and smelly: water was poured in reasonable proportion to the lumps used, then the jar was closed by means of mud or cow's hair or empty maize cobs. The pot was left to mature, the maturing first indicated by the occurrence of fermentation or was tested by tasting with the tip of the tongue. The ink thus made was black and rich in colour very similar to what

is now commonly called *shini* or Indian ink. The ink made from soot and gum is called *amar*.

The pen was often made form a segment of *dura* cane, but other stronger reeds when available, were also used. When sharpening the end of the cane, great skill required for making the right inclination – usually anything between an angle 54⁰ and an angle of 30⁰.

The *Khalwa* day for the elders begins sometimes before the dawn prayers round about 4 a.m., but for the majority it starts at or just before sunrise. The lessons commence with prayers: reading the *Fatha* and perhaps some dates was be thrown for the children to pick. The dates are believed mildly to contain *Baraka*.

The *huwars* then sat in a semi-circle on the ground round the *fekki* who would dictate to them. In winter a room called the *qu'ramiya* was used as the class root and this had an earth-floor, but on one side of it there was always to be found a flat broad shelf that resembled a table in so far as it was placed on crude wooden stand that supported it as pillars support a roof. The tablets, when the day's lessons were over, were placed flat-side down on their shelf. On the walls were to be four alcoves fro placing the ink-pots. On the occasions of *sharafa* the tablets decorate for the *sharafa* would be hanging on the walls. The greater the number of pupil the more of these were to be seen.

The *huwar* received the *ramiya* from the *fekki*, the *ramiya* being the text denoting a portion of dictation from the Quran, literally meaning a "throwing". The *huwar* reads

the last verse, three or four words of the verse to follow from memory, and so on. As there were many pupils each shouting the last words had written at the same time, some *fekkis* showed great skill in sorting out similar hints and answering with correct continuation which should be written each tablet. When the dictation of the complete day's portion was over, the *fekki* corrected the *lohs* with each *huwar* individually.

The portions differed in size according to how far the *huwar* had advanced. In some *Khalwas* the advanced students, at the time of the correction, were go hints about the meaning of the verses. Thus the learning by heart was not entire parrot-like.

After the *ramiya* dictation- and the *sihha* (correction), the hearing by his commenced. By middy the *huwars* dispersed and then they began again together about 3 o'clock. There was then a break before the first evening prayers. Wednesdays this started much earlier because of the *karama*. Usually before sunset the very junior *huwars* were dismissed. After the evening prayers the Quran was lit and the teenagers and advanced *huwars* sat round it, each with his tablet before him, reciting aloud. As the evening progressed, the *huwars* stood up to recite. This was called the *ardah*, and the recital was very formal, the rules of Quranic recession strictly being observed. The *huwar* recited from a standing position, and if his recital was accurate the *fekki* passed him and allowed him to go. Just before the time of the second evening prayers the *fekki* dismissed the junior

teenagers, those who had not been able to recite their day's portion would have to repeat it the following day- this is called *qiuah* or *taqiyim*, which literally means staying for a long period in one place.

The more advanced students stayed for some time after the evening prayers and then they too were dismissed. When dismissing the pupils, each section of them- the juniors, the teenagers and the more advanced ones- the *fekki* said the prayers of the *Fatha*. That was sufficient indication for the class of *huwars* who were meant to leave.

The very advanced students - those who had completed reading the Quran and were not perfecting the art of recitation, or those who were studying a shari'a or grammar, might stay up late in the night and then rise early. But very few *Khalwas* had these senior categories (e.g. *Shaygiah* was famous for learning the Koran; *Ubush*- recension; *Um Dubban*- Koran; *Damer*- grammar).

Thursday morning was a half day- the *huwar* did not come back in the afternoon. Friday was a holiday and a market day.

Thursday evening and Sunday evening were occasions for *Tariqa* services, immediately after the second evening prayers. The younger as well as the older attend, and the older ones for purposes of devotion.

The occasion of the *sharafa* was an important on in the *Khalwa*; the more advanced the stage of the *sharafa*, the greater its importance. First the *lohi* was decorated with a pattern of a rectangular frame with a dome or *mithal* on top.

The *mithal* is a formalized figure of the prophet's sandals. The black *amar* was used for making the framework of the decoration, then red and green dyes and yoke of the egg were used for colour variations.

The boy honoured with the *sharafa,* together with one or two friends, went about the village begging for *karama*- that is to say presents which would bring blessings to the donor. What they were given they brought to the *fekki.* Then the boy's family also contributed; almost all the contributions were grain, beans and dates. But more recently money was substituted; nowadays the custom has almost disappeared, as indeed have most of the *Khalwas.*

The boy's family then sent food to the *Khalwa* and the boy requested the *fekki* to dismiss the *heiran* after the meal.

Circumcision

Female circumcision has already been described in the first article in connection with child-birth*. The custom is slowly disappearing and a milder form is being substituted for it. The subject has been studied thoroughly by medical people and sociologists here and abroad. We can hardly add anything new. However, from the historical point of view, the origin of the practice has not yet been determined. The word *pharaonic* suggest that it originated in Egypt. But as mentioned earlier, lines of early Islamic verse suggest that the least, in so far as the Sudan is concerned, the custom could have been derived from Arabia. *Al Farazdak*, in one of his lampoons accuses the tribe of the *Azd* that their women have never experienced the pains of circumcision, implying thereby that the *Azd* are of an inferior stock.

Boys' circumcision is definitely of Semitic origin. It is closely associated with Islamic practice, as it is regarded as *Sunna*, that is a tradition that can be traced back to the Prophet. The earlier origins of male circumcision have also

been thoroughly studied and to scrutinize this is beyond the scope of this paper. However, male circumcision was believed by the pre-Islamic Arabs to have something to do with the moon. They believed that the moon would partly circumcise an uncircumcised male by causing the foreskin to contract- hence the abusive remarks; "He is uncircumcised but for the portion taken by the moon". According to the evidence of the Quran, the moon was one of the pre-Islamic Gods.

The ceremony of circumcision used to take place any time between the week of birth and the time of puberty. Cases have been known of boys circumcised a few months before their marriage was expected. In the religious communities, the celebration usually took the form of a religious service. Meat, dates and sweets were served on the occasion. Among the *Ja'afiyin* and their kinsmen, whose practice was imitated by many of the tribes, a miniature celebration of the wedding ceremony in all that concerns the bridegroom was performed.

The boy to be circumcised used to ride with a number of his friends, on the best donkeys they could get, and invited the neighbours. Then in the afternoon the actual circumcision took place. This was performed by the *basir* who was usually the village barber and blood-letter. On his arrival he was treated with great honour and given drinks and delicacies. He would be wearing his best clothes and would not wear any protective apron as the boy to be circumcised was expected to remain standing before

him unperturbed and not cause a mess. A cane segment was stripped, and then inserted to indicate the limit of the foreskin. Then the *basir* cut with his razor. Boys of the same age would be standing around to encourage the one to be circumcised with shouts of *ubshir.* He would snap his fingers in the air as a sign of defiance and manliness. The women who were gathered nearby, mostly aunts and their generation, would then scream the *zagharid* in glee: the foreskin was later worn by the grandmother as a ring for an hour or so and then cast a way.

The *basir* who did the circumcision applied ashes and *garad* to the wound. Afterwards the *jartig* or ritual decoration took place. The boy was dressed to appear like a girl. His eyes were edged with kohl. Gold and silver ornaments were placed round his neck and wrists. He was also made to wear the long coral wedding necklace and other necklaces containing beads of bloodstone which was believed to stop the bleeding and to speed up the healing process. A band of red silk was tied round his right wrist-this contained beads of magical value and a fish bone. The scarab might be attached to the band or to the gold necklace. The boy's palms were decorated with henna and so were his feet. His hair which had been shaved clean with a razor or knife was covered with grease and then with the powder of sandalwood. A silk band was then tied round his head. Beads might sometimes be attached to his hand. Then to mark the boy's manliness, having decorated him thus like a girl, he was symbolically presented with a whip and a

sword.

On the *jartig* occasion a dance might be called. The *dalluka* and the other small drums were beaten. Then the singers, sometimes slave-girls, sometimes amateur male singers from the village, would sing. The circumcised boy's female relatives started the dance, then others followed. If the boy circumcised was a teenager, then the dance was taken very seriously, and young men challenged each other to be whipped. This ceremony will later be described in a more detailed article about the marriage ceremony.

Among the customs attached to circumcision alone, was that of stealing things from neighbours. The idea that the circumcised boy was made to appear like a mock-king. His companions stealthily raided the houses of neighbours and stole whatever they could. The neighbours were later expected to pay a ransom for what they had lost. The proceeds would contribute to the expenses of entertainment. This would seem a token of the tribal raids indulged in by the adults of the tribe.

Relatives, friends and companions were all expected to give presents on the occasion of circumcision. Some people would go as far as to call a *magrhram* party. *Maghram* means fine or payment. This occurred only in cases of circumcision which are celebrated in a grand manner. In more recent times a plate would be placed on a table and then people would put their contributions on it. An announcer would announce the amount of the contribution as it was placed, and then the women would shout the

zaghariď in acknowledgement. Nowadays this custom has been debased even further. A father would announce that he would circumcise his son or sons and distribute cards to people inviting them to a meal. As they come they contribute and the contributions are written down for future reference because the father would be expected to pay the same amount when it is his turn to be invited.

The father thus collected a large sum of money. Cases have been known when people have used this as a trick to collect money and then disappeared. Indeed, at one time it became fashionable among certain classes in the three towns to give a party, even without the pretext of circumcision, in order to collect contribution. The abuse of the traditional customs of material help have thus reached the extreme limits of degradation.

Food

Dura is still the staple food of the Riverain Sudanese. The bread made from it is called *kisra* – an old Arabic word. It is baked as thin sheets from the fermented dough of the flour of dura. The flour used to be made in this manner. First the grains were soaked in water, then they were broken on a flat grinder called *murhaka* with a grindstone *mushan*. This process was called *darish*. The second stage is *tahin*, which is fine grinding. The grinding was done by the daughters, the wives and the slave-women, if any. The women would kneel at one side of the flat stone and then grind using water to moisten the flour. In the end a fine moist flour was thus produced.

There were other ways of grinding, but these were used in the western Sudan. Only people who had slaves from these areas used the *funduk* for grinding or rather pounding the moistened grains, separating the white pith from the course skin and thus producing very fine white flour. The *funduk* seems to have come to Darfur from Muslim Nigeria. Still where are large Nigerian settlements, grinding

by the *funduk* is very common. In *Kassala*, for instance, the modern mill has not yet ousted the *funduk*. Nigerian women take ready-ground flour to the houses and sell it or take the grains and pound them into flour either in their own houses or on the spot.

The dough of which the *kisra* is made is slightly fermented by pouring a hot mixture of fine starch and water prepared by boiling the grains. This is called *madida*. The baking is done on a flat oven. In the past, the *doka* (the flat oven, the word is not Arabic) was made of stone or baked clay. Now a flat sheet of steel is commonly used. The fermented dough thinned to a thick porridge-like mixture was then portioned out on the *doka* by a ground vessel called *mukmama*. Then it was flattened by the back of the *mukmama*. The result was a flat round sheet, thinner than the Indian chapati. Later on, for purposes of refinement, probably during the latter part of the Turko-Egyptian regime, some well-to-do town dwelling people invented the *gargariba* method of flattening the dough. The *gargariba* is a piece about six inches long cut from the lower end of a dome-blade. Now, with the flat steel oven, whose shape is usually rectangular, the *kisra* is made very thin, and its shape is almost rectangular. It is wound round and round into *luffas* (wrapped sheets). The *luffas* came in use only when the Egyptian type of *tabikh* (gulash) became commonly used on the Sudanese table.

Kisra was eaten with milk or curdled milk, rob water alone and water and salt and red pepper and onions. This

was a very poor diet indeed, but there was hardly any Sudanese house in the past that did not resort to these poor meals at least once a week. A richer version of water, salt and pepper and onions was to fry the onions in sesame oil and then mix that with water, then this was pored onto a bowl of *kisra* and made a meal. The liquid thus made was called *kushna*.



The fermented dough was sometimes baked into a thick form of soft-pithed bread. This was called *fatir* (unfermented *kisra*). It was often made of maize. Wheat, when available, was the best material for *fatir* which was

considered as a delicacy and probably comes under the heading of sweets.

The *dura* grains were sometimes moistened and left until shoots began to appear. The dough was then fermented with the flour made from the dried shooting grains called *zir'a*. A matty floured mixture would ensue. From such mixture the red *abre*, a delicious soft drink, and other soft drinks were and are still made. Fore the purpose of bread, a thick version of the *muttala* is made from this mixture, very similar in taste and colour to the German rye bread. This was called *muttalat al kar*. It has now completely disappeared except perhaps in some of the remote villages of the regions between *Damer* and *Shendi* and between *Berber* and *Artali* and amongst some of the *Shaigiya* and the *Danaqla*.

"*Asida* was also made from the fermented flour of *dura*, but the '*asida* now used is non-riverain in origin and so is the *taqlia* (the thick onion and meat sauce) with which it is served. A kind of bran '*asida* made from *dukhun* was also common. This was usually eaten with milk and was believed to be good for health.

The grains of new *dura* used to be roasted and preserved to be eaten as a dry meal. This occurred only in the rains and the grains thus made were called *farik*. These were sometimes boiled and mixed with sugar and clarified butter to serve as some kind of sweet. But very probably this was a later innovation, uncommon before sugar was made more available during the Condominium rule.

Balila was also made from *dura* (see above), but the

commoner kind of *balila*, which was almost the second staple food of the peasant, was made from *lubia 'afin* (red beans) and maize grains. Then onions, chillies and salt were added, and sometimes butter and dates. In some cases *lubia tayyib* or *lubia 'adasi* would be substituted. During winter, the green beans are made into *lubia* (that is dry boiled) by themselves. This was called *fassakh*. Chick-peas, now commonly used in the *balila* provided at the breakfast of Ramadan were not commonly known in the regions south of the *Shaigiya*. The needs of a certain melon called *jurum* were roasted and eaten with *balila*. The habit of eating *tasali* has recently been acquired in imitation of the Egyptians, as the seeds of *jurum* when eaten with the *tasali* were taken in handfuls and then chewed and swallowed.

Turmus is a kind of bean which has a bitter taste. These were boiled then left to ferment for a while and then they were eaten with dates. *Turmus* was used as a diet with dates and chickens in cases of bone fractures.

Apart from *balila*, beans were used as thick soups to serve as sauces with the *kisra*. Wheat was regarded as a delicacy except in the regions north of "*Shiraik*" where it was often used to make *kisra* and thus supplemented the *dura* diet. Wheat was in the greater part of the riverain Sudan used only on occasions for sweets and *fatir*. Barley was used to provide *kisra* on occasions. It was often mixed with the *dura* dough to make it ferment quicker and to increase the amount of the dough, for barley has more starch than *dura*.

In *Dongola* the grains of wheat would be roasted

(and sometimes barley) as the same manner as the *farik*. This is very near in taste to our modern "puffed what" or popcorn.

Mullah

Mullah is the gravy made to be eaten by dipping in the *kisra* with the hand. The bowl used for the *kisra* used to be made of wood. Well-to-do people used copper plates. Special wooden bowls of the kind called *dabkar* were used for the occasion of religious festivals and similar gatherings such as the parties to circumcisions and weddings.

There were three kinds of *mullah*: vegetable, sour milk, and meat, the last being the rarest and the most precious. The most commonly and widely use vegetable was *baimia*; this was used both fresh and dried. The fresh *baimia* (called more commonly *wika*), was cut into pieces, boiled and then beaten up salt, chillie, and some onions would be added. This was called *mafruka* (Arabic from *faraka* "to beat up"). It used to be made in a pot of baked clay called *kantush*. The stick used for beating up the vegetable was called *mufraka*. The mullah was sometimes made of a mixture of *bamia* and *bamia* leaves of *lubia 'afin* (the latter was used among the *Shaigiya* and the *Rubatab*) were prepared in the same manner. Natrun, however, was used to help beat up the *mulukhia* recently a drop of tea has been discovered to have a similar effect. All the mullahs were regarded as a poor meal. The freshness of the vegetable was though to make up for the lack of fat and meat. They were often seasoned with the

varied of herbs, such as *shamar.* To *mulukhia* was added a bit of *atron* to make it greener.

Dried *bamia* was almost the staple mullah. It was boiled with water, onion and sometimes a drop of clarified butter was added in the end in order to season. This was called *'Um shi'eifa* or literally the woman with the disheveled hair, a name meant to indicate that it was considered a very poor mullah indeed. Even the seasoning with clarified butter, which was and still is regarded as very precious would raise it in the estimation of the visitor. Hence the proverbial saying *Um shi'eifa, keyf al mara al deyfa-* that is to say to offer *Um shi'eifa* to a woman visitor is like branding her with fire.

Um kashatin, an onomatopoeic abusive term, was the name of dried *mulukhia.*

Apart from the vegetables mentioned above there were others like *lisan al tayer, tamalika* and *Rijla* which are seasonal vegetables which grow wild in the rains and are collected for mullah. Tomatoes were used as mullah with onions and sometimes with meat. But tomatoes seem to have been introduced just before the *Mahdiya* and came into common use during the Condominium rule. Two kinds of *garra* or pumpkin are grown. The local type has now completely disappeared except for the making of gourd dishes and bowls. It used to e mixed with milk and eaten with *"asida"*. Another type, called the Egyptian type, was made as mullah with or without meat and was probably introduced into the Sudan during the Turko- Egyptian

rule.

All beans were used as mullah, first they were crushed and then prepared in a form of thick soup. *Fasulia* was not commonly grown. *Lubia tayyib* and *lubia 'adasi* were used more often in *balila* than *mullah. Lubia 'afin*, however, was the thick soup with onions and dried okra. This was called *barbore*. The saying was: the *barbore* mullah was the diet of a man like a bull, this implying that it had high nutritious value.

Lentils and Egyptian beans became commonly used during the Condominium rule as they were used as an important item of the rations of the schools' boarding houses and still are today.

From milk *mullah al kumra* was made. This was prepared from rob or *laban rayib* (curdled milk or skimmed milk). This milk was mixed with flour and then made into a thick soup. When clarified butter was available it was added for flavouring and richness. This was commonly eaten with *kisra* and also with *asida*. Now, however, it is regarded as a delicacy and eaten with the "white" *asida* called *lugma*.

Meat Mullah

Meat, as the Arabic saying goes, is "the master of foods". This master of foods, now eaten almost daily among all the classes of town-dwelling people in the Sudan, was considered a rarity not so long ago. The Arabic tradition, "He who eats meat continuously for forty days will be hard hearted" was often quoted to denote disapproval or rather

envy of the well-to-do who could afford meat once a week. Many families depended on the occasion of the Quran sacrifice in order to taste meat. *Qarama-* the desire for tasting meat, was far commoner than *ayuub,* the desire for milk, for almost every family had at least one goat for milking.

Meat was prepared in two ways: dry-roasting and pot-cooking (this includes pot-roasting). Grilling was not common in the Riverain Sudan. The two forms of grilling, laying the carcase of an animal above a glowing fire, or laying it on hot pebbles are still used in the Eastern Sudan. The Riverain part of the Sudan that was in close touch with the *Beja* learnt these methods, but because of the scarcity of meat, they were seldom used. *Shayya,* that is to say, small pieces of meat grilled on charcoal, was generally regarded as "the drunkards" method of cooking. For one thing it was considered a form of wasting the meat, for apart from the occasion of the *karama,* the amounts available of it were not big enough for such a luxury. Pot-roasting was the commonest method and provided the best way of making the most of the portions of meat available.

Apart from the occasions of *Korban Beiram* and weddings, etc. meat was obtained by means of killing a *karama* which literally means offering. As there were not butcher shops, meat was available only when an animal in the neighbourhood was shared and killed. An animal would normally be killed only as an offering to a saint or to God or as an offering or on the occasion of child-birth, circumcision, wedding, recovery from illness, in expression

of gratitude for whatever the family would regard as an achievement and so on. To kill it merely to enjoy its meat had apparently to be called *karama* in order to be made to appear a decent thing to do. The animal was then portioned out into equal heaps according to the number of the people sharing it. Each heap would contain bits of liver, kidney and offal. The head and the legs would be apportioned separately. Where there was a professional slaughterer, he would get these in addition to the skin as his fee. I am inclined to think that the habit of eating *marrara-raw* liver and offal- was acquired from tasting the bits of liver and kidney to be found in the heap.

Marrara was regarded as a *durnkards'* luxury. Like *shayya* it later became part of the family menu when occasion called. The pancreas is not eaten by Sudanese men, but women roast it on charcoal.

The heap of the meat would then be boiled in water with or without onions. Afterwards the meat would be separated from the broth and roasted in clarified butter together with onions. This was called *lahm mahammar* (reddened meat) and it was regarded as the meat of all meats.

The broth would then be mixed with dried okra. This was called *Um rigayga* – the mother of delicacy- in contrast to *Um shi'eifa*. This was served in a separated bowl, and a portion of it was also mixed with the *kisra* heaped in the *dabkar* bowl. The meat would then be palced on top. Then the bowl would be placed on a *bartal*- a big basket *tabaq*

made from *dura* leaves and worked out in many patterns and a variety of colours. Most of these were made in *Dongola* or *Darfur* and used to be bought at a fairly high price. The bowl would then be covered with a *tabaq* or cover shaped like a Chinese peasant's hat. The *tabaq* is smaller than the *bartal* and not as strong as the ones sold at *Mahmiyah* station. The father of the family and his guest would sit round the bowl. They would eat first of the *kisra* as it was regarded bad manners to start with meat. The *Um rigaiga* bowl would replenish the supply of mullah when the *kisra* became dry.

This meal was regarded the best meal, equivalent to the Sunday roast joint in Europe.

When clarified butter was not available or for the sake of a change, meat would be mixed with the green *bamia*. This would be beaten up and this produced a richer version of *mafruka*.

Dried Meat

When an ox or a calf was killed, part of the rump was sliced up into strips and hung to dry on a line above the reach of any cat, usually in the shade. This was called *sharmut*. The abusive word *sharmota* meaning prostitute is derived from this word. Ponded *sharmut* is used in order to season the dried okra. This was called *mullah sharmut*. It was a fairly common dish and helped to make up for the lack of fresh meat throughout the year. The amount of dried meat used to make this mullah each time was, however, very small.

In *Darfur* the dried *sharmut* is pounded into powder together with fried onions and dried okra. This can be preserved for a long time and used to be carried by travelers on the forty-days route to Egypt. Travelers also used to carry fresh meat preserved in honey in skins.

The dried mixture of *sharmut,* okra and onions has now become one of the most popular dishes among the town-dwelling people and is called *taglia* and is usually eaten with *'asida.* It is richly flavoured with clarified butter. Indeed it is so popular that some of the Sudanese students abroad get it sent to them in tins and offer it to their European guests as one of the delicacies of the East.

The Dabahiyya

On the sacrifice for the *Qurban Beiram* the meat from the animal killed on the occasion is roasted dry so that it could be preserved for along time. Whenever the sheep was fat, its meat was cooked in this manner. This is still the practice.

The fat parts of the carcase are also fried in order to produce mutton fat which is used by women as a cosmetic for greasing the hair. The crisply-cooked pieces of mutton fat are called *rabit* and used to be regarded as a delicacy.

The head of the animal was cooked separately. It was slightly roasted directly on the charcoal so that it could be easily skinned and then boiled. This was called *nifa.*

Tabikh

Tabikh literally means cooking, but it has come to

mean goulash- a dish prepared from a mixture of meat, onions, tomato sauce, sometimes – and vegetables. All the *tabikhs* used now in the Sudan are of Egyptian or Turko-Egyptian origin. Wives of Sudanese effendis learnt how to make this from the wives of Egyptian effendis. Later on the making of *tabikh* became common throughout the Sudan. But as late as the nineteen-thirties only few villagers knew how to make *tabikh*.

The far nearest to *tabikh* known to the Sudanese was *yakhni*. This was prepared by first frying the meat with onions and clarified butter or oil and then adding water. This was called dam'a and was sometimes used as mullah.

When flour was added to the *dam'a* this produced *yakhni*.

The *tabikhs* of *bamia, fasulia, mulukhia,* and other vegetables are now prepared in the same way as similar dishes in other parts of the Middle East. However, the Sudanese tend to use more fat, more meat and more seasoning. The Sudanese *mulukhia* is much thicker that the Egyptian *mulukhia*. The Sudanese *bamia* has more tomato (*salsa*) in it and is much tastier than its Egyptian counterpart. As, however, these *tabikhs* become part of the daily diet in the towns, it is to be feared that their richness contributes a great deal to the increasing frequency of indigestion complaints. Their suitability to the climate of this country, as daily food, has already been questioned by some medical experts.

Sweets

Sugar was a rare commodity. But now is it a daily

items of food and accounts for the biggest item on import expenditure on the Sudan annual budget.

Of the fresh fruits only dates, melons, *nabag, humbug, lalob* and *dom* were common. Citrus fruits were rare indeed. Even lemon which is now a household item, was seldom to be found. It was considered as to possess medical value and was used to counter the effects of poison. *Nabag,* the fruits of the lore-tree, humbug, the fruit of the *tundub* tree, *dom,* the fruit of the dome-palm were wild fruits.

Honey and dates were the best known forms of sugar, the latter being far easier to obtain. Honey was used for medical purposes and occasionally mixed with water serve as a soft drink.

The chief sweets were dates, either by themselves or together with ground-nuts. The habit of salting the ground-nuts has recently been acquired from the Nigerian immigrants who have settled in various parts of the Sudan. Formerly the ground nuts were presented on the occasion of the Ramadan Beiram together with dates mainly for children.

Dates were also eaten with *balila* as mentioned above and with coffee- which was common hot beverage only comparatively recently ousted by tea.

A sweet made from dates slightly mixed flour and enriched with *semma* in the form of a thick porridge has already been described in connection with child birth. This was called *madidat al tamur.*

Wheat flour was made into three kinds of sweets all

sweetened with dates, *ligayma* (diminutive of *lugam*), *ka'ak* and *gurrasa*. The *ligayma* was the favourit sweet. It was offered on occasions of feasts and special *karamas*. The dough of the wheat flour was slightly fermented.

The dates were crushed and mixed with the dough. Then the "dough" was portioned into small pieces, estimated as mouthfuls and fried in sesame oil to make *ligayma*. *Ka'ak* was made in the same manner. It was crescent-shaped and contained more of the date juice and was fried in clarified butter. This helped to preserve it for a long time. *Gurrasa* was made from a dough of wheat flour mixed with coarsely crushed dates and shaped into round flat cakes and then fried to clarified butter. This type of sweet was usually prepared for the pilgrims to carry on their long journey to Mecca.

Another form of *gurrasa* was made in the same way as *muttala* and later fried in clarified butter. Sugar was added later when it became commonly known.

Fatir is the *kisra* made from non-fermented wheat flour and this with maize flour were considered the best materials for making it. *Fatir* was a delicacy used only by those who could obtain sugar. Burckhardt (1881) speaks of having eaten something like it in *Damer* and suggests that it had been learnt through contact with Egypt. The more elaborate forms of *fatir*, such as *fatir muttala*, *kunafa*, *mushabak*, became known only during the Condominium rule. It is said that the wife of Fawzi Bey, whilst her husband was serving imprisonment under the *Mahdiya* as an attendant of

one of the dervish officers, once prepared a *kunafa* dish as a present to their master. The latter so liked it that he did not cease to ask Fawzi Bey to present him with a dish of *kunafa* from time to time until the regime of the *Khalifa* was over. Fawzi and his wife suffered great hardship in order to earn the money that would produce the wheat, the butter and the sugar when his demand has was made.

Shieiriyah or hand-made vermicelli became an important sweet delicacy among the well-to-do of the Northern Province round about the turn of the 18th century. It used to be regarded until recently as the chief sweet dish for the breakfast of the bridegroom on the day following the wedding ceremony. The making of *shieiriyah* will be described in another article in connection with "Marriage".

Rice puddings and other kinds of sweets only became known during the Condominium rule. The *ligayma* at one time disappeared. There are fewer street-sellers of *ligayma* at Khartoum than in Omdurman. But as this kind of sweet is now fashionable in Europe it will soon be fashionable again in Khartoum!

Fats

Samin or ghee or clarified butter was and has always regarded as the best of the fats throughout the East. It has always been regarded as a sign of comfortable living. In the Sudan it is made from curdled milk, shaken in skins until the butter gathers at the mouth of the skin. This is traditional method and descriptions of it are to be found in

pre-Islamic poetry. What remains of the milk is called rob and is used as a soft-drink to quench thirst and serve as a light meal. Sometimes it is mixed with *kisra* as mentioned above. Sometimes it is diluted with water for the purpose of drinking and this is called *ghubasha*- an abusive term denoting miserliness on the part of the host. It literally means "*greyness*" or the grayish drink.

Some of the butter was offered to children. But the greater portion of it was fried to make the *samin*. Wealthy men, particularly puissant chieftains would get butter mixed with honey, a mixture which was believed to be a very effective aphrodisiac.

The clarified butter used to be preserved in gourds for occasions when sweets and *lahm muhammar* (reddened meat) were to be made. Also *samin* was considered to have great medical value by itself. For this reason small amounts of it were sometimes consumed with the meat. The well-to-do had it served with the *gurrasa* of wheat and this was regarded as a great delicacy. Nowadays *samin* is lavishly used in making goulashes- a relic of its past association with comfort and wealth. Many of the cases of indigestion, stomach and heart troubles and blood pressure, now frequent, may be attributed to this extravagance.

Sesame oil was more commonly used in cooking. It was also used fro rubbing the body and was believed to have great medicinal value, especially against rheumatism. A mixture of sesame and salt rubbed on the body was a treatment very common in all cases of fever, particularly

malaria. Women mixed sesame oil with the dough of *dura* flour and with perfumes, if available, and rubbed their skin with it in order to soften it.

Animal fat was not used for cooking except when the animal was cooked in its own fat, as in the case of the *Qorban* sacrifice. It was preserved to be used for greasing the women's hair in the Riverain Sudan. When it is mixed with sandalwood and other oily liquid perfumes such as *mahlabiya*, it produces *kerkar*- a sweet ointment which is the most delicate perfume still sued by Sudanese women. The process of making *kerkar* and other perfumes will be described in a later article.

Fat extracted from the bones of animals-called *zeit al maz* was also sued for cosmetic purposes. Ground nut oil, coconut oil, cotton seed oil have only recently come to be known and only the last-mentioned of these is used now in Sudanese cooking together with *samin* and sesame oil.

How Food was Served

Dining tables and chairs are a recent innovation. The Sudanese used to sit down on *burush* (mats made from palm leaves) or on the ground in order to eat. This habit has not yet completely disappeared. Indeed, it is sometimes adhered to deliberately among the educated classes in an effort to revive for themselves the reminiscences of village life and Arab hospitality.

The *dabkar* bowl fully laden with *kisra* and meat was carried on a *bartal* and covered with a *tabaq* when the number

of guests was small, or for the whole family as a treat. But when the guests were numerous the *dabkar* bowl, covered with a *tabaq,* was carried on the palm raised upward to a position parallel with the shoulder. Among the chieftains and the wealthy "Sheikhs" it was the slave-woman who carried the *dabkar* thus. In the *Khalwa* it was carried by the *huwars.*

When the *dabkar* went out of fashion and the *tabikhs* came to be used, copper trays and china bowls replaced the *dabkar.* The *luffas*-round sheets of *kisra*- were placed on the cooper tray (later to be replaced by the aluminum tray) with the bowl containing the *tabikh* in the middle. One would then proceed to cat by tearing pieces from the *kisra* and dipping them in the bowl using the right hand only and the minimum possible number of fingers. It was considered impolite to show the soles of the feet whilst sitting round to meal.

Men were served first. Then the women-guests and the children partook of the remains. On occasions of weddings, when there were women visitors from a distant village, these were served with complete bowls of *kisra* and meat, or trays and *luffas,* but after the men's meal was over. Serving numerous guests with food was called *kifaya* (sufficiency).

A husband never ate with his wife. The men of a big family ate together, grandfather, father, adult sons and elder teenagers. In a small family, the husband ate alone, or took his bowl and joined other men living near by in he

same small village, these would usually gather in a place which would be used communally on occasions and was often called the *Khalwa*. If ever a *fekki* or *praisers* of the prophet visited the village, this *Khalwa* would be their rest house.

Children got the smallest share of the family's food, or they came after the women. A kind family head would take particular care of the orphan boys and invite them to share the meal with elders. This was in accordance with the observance of the precepts of the Quran which enjoin the believers to be kind to the orphans.

Marriage

In this paper I propose to describe some of the marriage customs in the Northern Sudan to cite some observations derived from my own experience and memories, as well as information obtained from relatives and other informants. I was three years old (1924 A.B.) carried on the lap of my mother at her brother's wedding. I can still recall the figure of my uncle at that moment of time, a necklace of beads dangling from his neck, his hand raised and there was a person in front of him. The room was lit up and there was a *"dom"*[38] pillar in the middle of it, and there were many people sitting by the side of my mother and we were seated on what I felt was a high place.

The area of the present Northern Sudan roughly coincides with that of ancient Meroe, Kush and Biblical Ethiopia. Some of the original ethnic features and characteristics such as the facial scarring have survived and endured together with relies of old customs and vestigial ritual practices. For example wedding couples visit the Nile on the seventh and fortieth days and cast handfuls of

grains and dates in it and rub their faces with its water and dip their feet in it. Some of the Nubians of the North in the midst of their celebrations make a point of evoking the memory of their relatives departed and weep in earnest for them being absent on that happy occasion: this is probably a relic of the ancient Egyptian practice of passing a mummy during the course of a joyful party or feast. In some Blue Nile villages near Khartoum maiden friends of a new bride gather round her and make her a present of their tears in a phial.[39]

First Steps to Betrothal and Marriage

Most of the marriages used to be arranged within the circle of the nearest of kin in each family group, first cousins taking precedence over other relatives, hence the word cousins (*wad 'ammi – bit 'ammi*) is often used euphemistically for suppose or fiancé. It was not considered proper for woman to mention her husband's name. She would call him saying, "O, you" or "O this one", and refer to him as "that one", or "father of ......". A man would not mention the name of his mother-in-law and before the wedding he would avoid meeting her and would change course if he saw her from a distance.

Whilst kneeling behind the family *murhakah*[40] grinding a moistened portion of "*dura*" for the daily meal, a young girl would try to cheer up her spirit by the wishful thought of a cousin "*wad ammi*" coming back from a successful adventurous journey in the distant far off

lands, accompanied by wealth and gift of serving maids for herself, the future lucky bride:

(a) *"O my mother scrape the gourds,*[41]

My cousin has brought us maids"

At the beginning of this century the slave trade was abolished and new ways came along with the condominium rule. First government employment, and later on trading in the fast growing towns of the Northern Sudan, offered opportunities of wealth and comfort such as had never been experienced before. The songs of the young girls at the *Murhakah*, and even after the *Murhakah* went out of use, have continued to reflect the social changes in the developing Sudanese community. For example:



(b) *"O Sharif Al Hindi,*

My wish is for an effendi

With uniform and epaulettes

Another example:

(c) *O Hassan, O mountain of steel,*

I wish to see railway train,

And reside in Port Sudan and have a daily half-oke of Dan (mutton)

Later on came songs like this:

(d) *I "The suitor is from the University of Khartoum*

Qualified in three "Ulum" (subjects).

At the time general B.A degree was a much sought after finishing school

(d_2) *The Suitor is from the University of Baghdad*

Versed in three "lughat" (languages)

Another example:

(d_3) *He has his mother comfortable*

And taken his bride abroad

Has a new house, with a ceiling fan and refrigerator

ancient pre-Islamic bard, "Algamah" says in his "Ba'iyyah"[42]

And if ye seek lore of women, verily I am skilled

In all their devices, wise to probe the root of their ails,

When grey grows a man's head, or his substance gets less and less,

No share can he hope to win of friendship with woman kind.

They long for abundant wealth and look where they think to find,

And freshness of youth takes chiefest place in their ????? eyes".

"*Algamah's* reflections are true for all time. The *Murhaka* song shows fear of being married to an old man, as for example:

(e1) *The grey haired man we do not desire,*
Let ashes straight from the fire,
Fall upon his bald head,
For his Adam's apple's sake we'll take the youth instead.

Likewise more recent songs, as for example:

(e2) *Shield me God*
From this old man
Let needle fly,
And pierce his eye.

The average age for marriage use to be from eighteen to twenty four and from thirteen or even younger for girls. Among some families there is inclination on refusing any suitor outside the nearest of kin many girls continued to live as old maids until their death. The *su'luwwah*(49) of the Sudanese folk stories was probably none other than an old maid in her seventies or there about, living alone on the periphery of the village secluded, deserted and dreaded. Among the words I learnt from my maternal grandfather are these:

Sweet and- twenty is a "houri) from Paradise,
A damsel of thirty pleases the eyes,
A woman of forty has girls and boys,
A woman of fifty experience and wisdom enjoys,
A woman of sixty has spent her years,

As a result of spread of modern education and urbanization suitors from outside family units and traibal clans have become more and more accepted. Young men and women mostly in their twenties nowadays meet in the University and similar establishments. They become acquainted and friendly with each other and this often leads to marriage. Parents and senior relatives give their consent after making their discreet enquiries into the financial state, the career prospects and the genealogical background of the fiancé concerned. The old order of tribal and family ties, however, has largely given way to a new order of social change with emerging cliques and classes. In the past an outside suitor was seldom considered in the case of first marriage. A man could seek a second wife from outside the family or tribe. A widow or divorcee or an old maid could be allowed to marry an outsider.

The formal preliminary step leading to betrothal is taken by the nearest male relatives of the suitor. This is called "*Golat Khayr*" or *Fatuh Khashum*" i.e. mouth opening. After the male relatives have made their formal "*golat khayr*" bringing with them presents of gold ornaments and clothes for the bride, more visits between the two families follow with the purpose of gradually strengthening the relation between them. Gifts of various kinds are exchanged, the bride's mother, for example, presenting and embroidered cap and turban to the father of the bride-groom. Sometimes a formal betrothal party is made, but this is the case when a

long period is expected to elapse before the wedding takes place.

"Khitbah" – formal betrothal – has never been very popular in the Sudan, for it appears as a king of postponement for marriage and broken *"Khitbahs"* are things to be dreaded and avoided.

"Sadad-al-Mal"

Originally this was the bride-groom's contribution towards some of the main items of the wedding preparations, such as buying and making perfumes, providing the wedding leather-strung bed and embroidered *"Atanaibah"* and at least an *"ardab"*[44] of *dura* together with ample amounts of wheat and dates, a young fat ox to provide meat for the main feast and four or five rams to be killed afterwards. *"Sadad-al-Mal"* did not include the bride's dowry called *"Al Mahr"* or *"Al Sadag"*. This used to be offered separately. Its amount was publicly stated and written down in the marriage contract (*Al'Agid"*, but its payment used to be deferred, as it was meant solely for the bride who would dispose of it later as she wished. In most cases it was only claimed by her when the marriage threatened to break up.

Nowadays *"Sadad-al-Mal"* denotes the *"Sadag"* and its mount is sometimes stated publicly, and sometimes merely alluded to as "the sum agreed". The contribution of the bridegroom towards the expenses of the wedding is called *"Al Dukkan"*, that is "the shop". This is a special kind of gift from the bridegroom to the bride's family consisting of dry

food stuffs such as sugar, tea, coffee, sweets, and other food stuffs such as clarified butter, cooking oil etc. nowadays "*Al Shailah*" (the carried presents) is sent in advance of the "*dukhlah*". The old custom which still prevails in the senior female relatives of the bridegroom accompanying him to his procession to the house of the bride on the night of the main wedding feast called "*Al Dukhlah*".

The "*Shailah*" consists of the bride's clothes and the expensive gold ornament for her, as well as some valuable presents for her parents, brothers and sisters. Of late there has occurred some ostentatious exhibitionism on the occasion of the "*Shailah*" by some of the bourgeois parvenus of the capital such as giving away a brand new four-wheel-drive Land Cruiser Pick up laden with sackfuls of clothes, sugar, flour and other articles and festive nourishment, or giving the bride her weight in pure gold, outdoing the recent fashion regarding the "*Kafyah*"- the cap of gold – as the most important item of the "*Shailah*".

The Agid

That is the marriage contract from the Arabic "*aged*" – tied – and "*Ugdah*". In the past all marriage contracts were formalized and written in the local "*Khalwah*" (Quran School). But during the colonial rule, newly appointed post of "*Madhun*" (that is a person permitted an authorized to write marriage contracts) was created in order to find bureaucratic link between local "*khalwahs*" and the official Government Sharia court, that would enable the administration to keep

registered record of marriages.

The *"Agid"* service is very brief. The *"Madhun"* reads the *"fatha"* (the opening chapter of the Quran). Then he asks if the representatives of the two parties concerned are present, and answered in the affirmative form proceeds with the service formula:

"I, so, and, so, being the *"wakeel"* (agent) acting on behalf of so and so, hereby give her in marriage to so and so, for the *"sadaq"* that has been received, and part of which has been received and part of which will be paid later in accordance with the Book of God and the tradition of the Prophet (peace be upon him) and I hereby declare that whoever wishes to witness may be so".

The *"wakeel"* of the bride repeats the words uttered by the *"madhun"* slowly and audibly. In the case of the father of the bride being present the girl concerned is referred to by the *"madhun"* as the *"mujbarah"* (that is the compelled of ....), because according to the Malik Sharia law, which is followed by the Sudanese people, the father of a maiden can compel her to marry as he wishes and she has no option but to obey, unless there happens to be a serious objection on her part, such as the suitor being a leper, for example. The father however enjoined by the Maliki jurists to seek the consent of his daughter. (45)

The *"Madhun"* then calls the *"Wakeel"* of the bridegroom and makes him repeat a formula of acceptance: "I, so and so accept to take the *"mujbarah"* of so and so, whose name is so and so, to wife for my *"Muwaakkil"* (that is the bridegroom)

with the *"sadag"* etc. in accordance with the Book of God and Tradition of the Prophet (peace be upon him).

Then dates and coffee and tea are offered. The women folk gathered on occasion of the *"Agid"* are informed immediately after its formalization by the *"Madhun"* and witnesses, whereupon they burst into joyful ululation. Thus the Sharia Law requirement that a marriage contract should be made known in a public way is adequately fulfilled.

The "Dukhlah"

Usually the *"Agid"* (the marriage contract) is made on the same day or shortly before the principal wedding party of "Al *Dukhlah*", literally the entering of the bridegroom with his entourage into the family compound of bride. Formerly preparations for the *"Dukhlah"* were accompanied by many joyful parties gradually building up from small beginnings until they reach their culmination in *"Gat'al-Rahat"* (the removal of the leather skirt) and the *"jartig"* (the ritual decoration of the bridegroom).

Before the *"Dukhla"* the bridegroom gave a party called *"Magharam"* that is (payment or fine). The friends of the *"Aris"* (bridegroom) would come to the party and pay, each a sum equivalent to, or more than, what he or his family received from the *"Aris"* or his family on a previous occasion. The names of the contributors and their contributions were announced and that was followed by jubilant ululations from the women present for the occasion. The *"mugharam"* party has gone out of fashion. It was not an old tradition. It

became fashionable with the coming of the Ottoman *Magidi* and *Sutria*-Hungary Maria. Theresa silver "riyals". There was a song:

(f) *Have you not seen the dark coloured one*
The like of him is not born by sterile women
Twenty riyals will not make him dismount from his saddle

Twenty riyals being considered a very large sum as indeed it was, nearly equal to an ounce of gold or more. The words were changed later to twenty pounds and two hundred pounds. Now they have to substitute the dollar for the pound, and the motor car for the saddle.

Both the "*aris*" (bridegroom) and the "*arus*" (the bride) have henna parties before the "*dukhlah*". A small mound of henna paste is nowadays exhibited on a metal tray, silver to aluminum, but it used to be placed on "*tabag*" (a plain open basket made from dome or date palm fronds). Young men and women would discreetly insert coins in the mound. This is no longer the practice.

The "*Aris*" has a "*Karamah*", that is a thanks-giving party before proceeding to the house of the "*Arus*". More recently some of the Muslim fundamentalists are advocating that the bride should be escorted to the house of the bridegroom in accordance with the "*Sunnah*" (the Prophet's Tradition). But there is a "Hadith"[46] from which it can be elicited that the bride initially resided in a special tent, something like our "*Kujrah*".[47]

For the bride's family the preparations preceding the "*dukhlah*" were numerous, some pertaining to the reception

and welcome to be given to the "*Aris*" and his entourage, and some pertaining to the presentation of the "*Arus*" (bride).. in the past a special area was prepared for accommodating the "*Aris*" (bridegroom) and his guests. Often a new room was especially built for this purpose and many a bridegroom would stay in such a room with his bride for at least one year after the birth of their first offspring. The room was furnished in the traditional manner with a wedding "*angaraib gid*". This is a tall bed made from "*sunt*"(48) wood with carved legs and strung with leather thongs and covered with a special bright coloured "*atanaibah*"(49) a mat made from fine fronds of "*dom*" plaited in patterns and interlaced with glittering strips of barley stalks, with fringes from goats hair. Nowadays. The "*angaraib gid*" has gone out of fashion and become almost a museum piece. The European style double-bed with a complete suit of bedroom furniture have become more fashionable even in the village where the true Sudanese rustic ways prevailed until very recently.

Dag-al Rihah" (The perfume preparation)

The main perfumes are "*karkar, khumrah, khumrat – al-zeit, dilka and dukhan*".

"*karkar*", derived from "*karkar*" – a root denoting repetitive movement and sound (to stir) – is an unguent made from rendered sheep's fat mixed with several aromatic ingredients such as cloves, sandalwood powder, "*mahalab*" paste, "*surratiyyah*", "*mahlabiyyah*" and "*majmu*"- all being odoriferous oils from India. "*Khumrah*" is a liquid perfume,

slightly creamy, made from the aromatic oils of India already mentioned, mixed with a finely sieved sandalwood powder, *"mahlab"*(50) paste, *"dufur"* cloves, civet, musk and sometimes *"jalad"*. These same ingredients help to make *"karkar"*,-but unlike *"karkar"*, *"khumrah"* has no basis of *"wadak"* that is rendered sheep fat. Genuine musk is preferred to the local musk extracted from the glands of crocodiles, but the latter is said to be more effective as an aphrodisiac. The pounding and initial preparation of the dry components is carried out by a party of young women under the guidance of a more experienced matron. The *"dufur"* is at first a repulsive looking gathering of blackish shards and shells with the stench of decaying fish. All flesh is scraped from it after boiling, and then the *shelly shardy* fragments are heated with a considerable amount of coarse sand until the fishy stench gives way to a very sweet odour. These are pounded and sieved into a fine powder to be mixed with the aromatic oils and nowadays to these are added dashes of imported French perfumes particularly *Fleur d'Amour* and *Reve d'Or* and other European made perfumes specially manufactured for the Sudan such as *"Bint-al-Sudan"* and *"Arais-al-Sudan"*. Yardley Lavender water was popular for short time. There was a song:

(g) *The wood- pigeon of the railway halt*
Now dwells in a house with a verandah
And is perfumed with Lavender

"jalad" is now seldom used, because of the laborious preparations that go with it. It is the skin of a wild feline

animal, first stuffed with tobacco leaves and left for a week, and afterwards it is emptied and scraped and cleaned thoroughly from all flesh and mucus and then dried and cut up into small pieces. These, I was told will have a very nice smell. "*Jalad*", now mostly out of use, was considered a sign of wealth and high taste. A ditty about a legendary lady of the *Ja'aliyyin* tribe says that for her wedding she was presented with a "hug" (a wooden vase) of "*Zabad*" (civet) a fur of "*jalad*" and slippers of gold. My informant said that bits of "*jalad*" are added to "*khumrah*" liquid and thus its aroma is further enriched. "*khumrat-al-Zeit*" is a similar concoction with sesame oil added to it and is used for massaging.

"*Dilkah*" the massage paste is an old Sudanese cosmetic designed to beautify and protect the skin, as well as serve as an aphrodisiac. The basic of it is *dura* porridge, half-cooked so as to avoid solidity and lumpiness. This is then cemented all over the inside surface of a wide wooden bowl called "*gadah-al-dabkar*" then gently perforated with fingers and then placed over-turned over the smoke-pit "*hufrat-al-dukhan*" to be smoked for at leas seventy-two hours with burnt "*talh*" wood (Acacia sayal). The porridge paste is removed several times during this period, each time moistened slightly by dipping the fingers in the aromatic oils and whenever a flame appears in the pit it is extinguish that the paste will mature only by means of the acacia sayal smoke, the smoked paste is kneaded and moistened with "*sandaliyyah*" scented with musk and civet, and mixed with "*mahalab*" paste "*dufur*" powder and other perfumes.

Then the "*dabkar*" be overturned to be smoked this time with "*kulait*" and sandalwood, "*dilkah*" paste, now reddish brown in colour and very sweet smell divided into little round lumps and spread out to dry. Nowadays how the sweet smelling reddish brown paste is preserved moist as in a refrigerator or in a cool place. The dry "*dilkah*" is still preferred because it is easier to preserve in the hot climate of the Sudan. Also after mixing with "*khumrat-al-Zeit*" it is more effective for massage.

"*Dukhan*" (smoke-bath) is the Sudanese equivalent of a sauna bath and perhaps more effective for softening the skin and stimulant muscles and the joints and serving as a mild fungicide. In every Sudanese family compound there used to be a pit lined with the thick dark jar of baked clay. Pieces of "*talh*" wood (acacia sayal) are burnet the jar to make smoke only. Having oiled one's body with sesame person who wants to take smoke bath sits very near to the smoke, wrapped naked inside a thick blanket made from camel's hair "*Shamlah*". Underneath is a round mat open in the middle with smoking pit's jar is allowed to protrude. This is called "A/N" smoke bath session takes a long time with several breaks. After break one must remain covered up until the perspiration stops and body is dry.

Then the second session may start again. In the end one must wrapped up to sleep it off.

In the past the "*Arus*" (bride) was not given "*dukhan*" (a smoke) before the consummation of the marriage. This was supposed place on the seventh night after the "*dukhlah*".

After the private seventh night (*al sibu*), the bride's "*dukhan*" would begin. Daily she would be smoked until her skin became crusty and very brow "*dilkah*" massage was applied repetitively and energetically until became very soft and shiny. This process of "*dukhan*" and "*dilkah*" "*khumrah*" perfuming afterwards is called "*kabarait*". With the typical European style baths and showers and the use of cosmetic used by new classes of educated men and women. There was a song in the thirties saying:

(h) *We do not desire "kabarait"*
Give up grease and Zait (oil),
Most important is the daily bath,
And the cleanness of the body
And that one should always be smiling
Beauty is a gift from God

When "*khumrah*" is made, small portions of it are poured in small bottles and presented to the participants in the preparation of it.

The "*arus*" (bride) is kept in a "*kujrah*" for forty days after the "*dukhlah*". On the fortieth day, both the "*arus*" and "*aris*" (bridegroom) visit the Nile, as has been mentioned in order to get some "*barakah*" (blessing) from it, and from the wedding patron saint of the area whose tomb is near to the bank, for example, the tomb of "*Husein wad Hamad*" about seven kilometers south of *Al Damar.*

The procession of the "*aris*" (bridegroom) to the house of the "*arus*" (bride) is called "*Al Shiyom*" which means the journey for greetings and peace, the word (*shiyom*" being

an ancient cognate word of "*salam*" the "*shiyom*" song, known all over the Sudan is:

(h) *O auspicious, milk-white way*
On angels of God accompany him today,
With the will of God shall be this array.

The "*shiyom*" procession is also called "*Al Sayrd*". One of the songs again famous and still sung, though it speaks of torch lights which are no longer in use:

(i) *Tonight he proceeds from us,*
and the bamboo torches are lit for him.

In the past, when there were no pressure lamps or electric lights to illuminate the way, "*gana*", that is bamboo, was employed as torches. Bamboo sticks were elaborately prepared and dipped in sesame oil some time before the date of "*Dukhlah*". They were carried in front and by the sides of the procession. The traditional "*shiyom*" was led by the bridegroom loftily mounted on a splendid camel or horse dressed in flowing robes with turban, "*sidayriyyah*" (waist coat), his "*sikkin*" (Rom shaped dagger) with its fine sheathe of crocodile skin decorated with silver, strapped to his arm with a variety of leather coated amulets. The women-folk followed behind the men some of them carrying large basket on their heads. This was the "*shaylah*" of those days. In the baskets were clothes and gold and silver beads for the bride, and presents for her mother and other near relatives. They sang:

(j) *O mother of the bride here we come*
Brining silk for threading the netted ornaments

O mother of the bride, here for you to take,
We have brought gold, silver anklets for your sake,
We are the Nile that inundates the valley,
We have come, clear the way before our sally

In the region of *Al Damar,* where the religious puritanical spirit strong, the procession is led by a group of "*fugarah*" (religious sheikh) and their students chanting a religious processional hymn which begin with:

(k) *The leader of God's messagers army is our prophet*

Behind these "*fugara*" chanting in classical Arabic follow men the "*Gadiriyyah Tarigah*" beating their drums and tambourines *shatam* chanting their vernacular religious songs. Behind these follow the bridegroom with his young companions, some mounted and other walking in their festive array. Then follow the women of the bridegroom's family with their "*shaylah*" songs, "*shatam*" (little wedding drum) and "*dallukah*" (big wedding drum).

The "*fugara*" and the religious chanters with other men guests a taken to an area prepared for their reception; an entrainment they manage to continue for about an hour with more religious songs and prayers. But whilst this is happening on the men's side, a scene of mock hostility and confrontation takes place between the women of the bridegroom and the women of the bride's family, singing - and counter - singing, the sprinkling water and milk on each other. They say for example:

(1) 1: *Our "aris", so wise let it e understood,*
Saved the maid from spinsterhood.

2: *Your "Aris" does blink,*
Needs hot drink

1: *We are the Nile, inundating the Valley,*
Making way for our mighty sally.

2: *Proceed gently without haste,*
There is plenty of bread and paste.

1: *Tiger on the house tread,*
And fill them with dread.

2: *Of a feeble plight,*
He cannot fight.

And so on, in the meantime food is served to the *"fugara"* and the men guests, and arrangements are made to provide also at the same time but in a separate area, for the women guests. Usually the neighbours share in helping the bride's family with regard to providing space for the guests and their mounts.

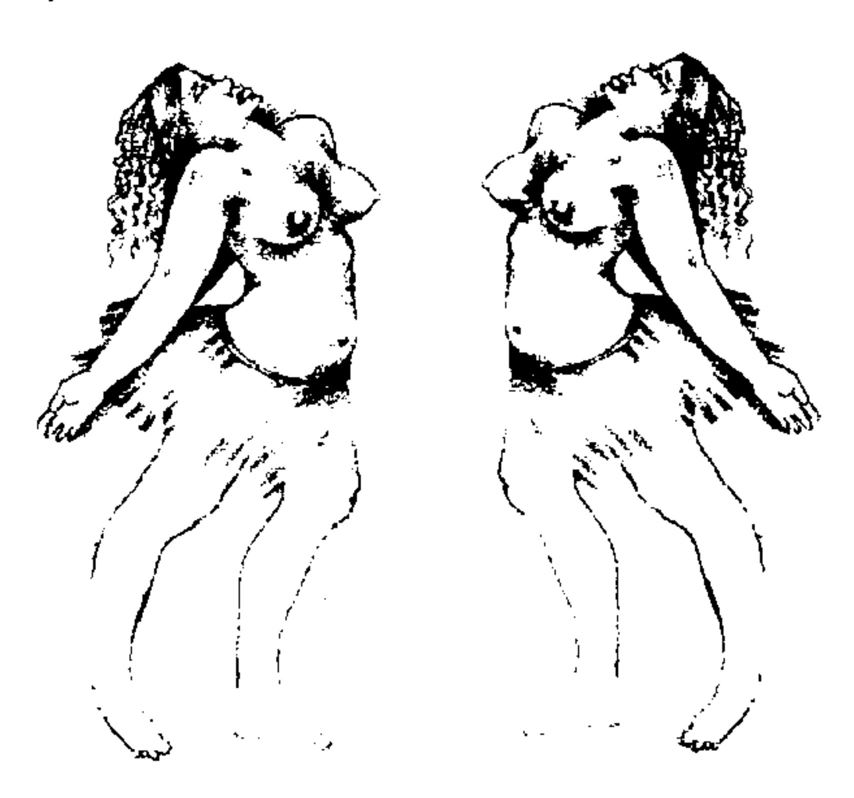
The traditional meal began with a non-alcoholic beverage made from *dura* malt with sugar.

This was followed by *"ligaimat"* (dough-nuts) made from wheat flour and dates. Then came the roasted meat and *"kisrah"* (Sudanese bread). This for the guests was the wedding's greatest course. Nowadays, however, the character of the *"dukhlah"* has changed completely in the towns and similar urban communities. Motor cars have replaced the riding animals with trucks, mini-buses and omnibuses for the *"shiyom"* of the young women with their "dallukah" party is now not always necessarily held in the house of the bride's family.

Bourgeois families who are well-to-do hold it in their big house, an opportunity for exhibiting their opulence. Less wealthy families hold the party in a hired tent or hire an area in a club has catering facilities, or in a hotel. The "*shayla*" part, as has already been indicated, now precedes the "*dukhlah*" in most of the big towns.

Gat-al- Rahat (The removal of the leather skirt)

In the Sudan the bride as everywhere in the world is treated like a queen, albeit for the short span of her wedding days.



The training of the bride for the *"dukhlah"* dance precedes the appointed date by a fairly long or short period, according to her skill. It used to be done under the care and by the courtesy of experienced women from the same family or the neighbourhood, and no payment was. But now there are professional women specialized in the art wedding dance.

In the past the first step in preparing the pride for her sermonic role, was the *"mushat"* the plaiting of her hair if she had not had been before ritually shaved at the tomb of the family's patron-saint such as *Abdal Magid* And *Abdal Mugit* the ritual operation would be deferred until the birth of the first child. The *"mushat"* (plaiting of hair) was performed professional woman called *"Al Mashshatah"* literally the women combs the hair. She would first, undo all the hair, interlacing the curls into fine tightly finished plaits with fan like unplaited terminals, would be greased with *"karkar"* and pasted with *"Mahalab"*, *darira* other sweet smelling cosmetics. The hair treated in this style is calls *"Rashshah"* (the shower, because tiny oily drops are sprkinled from the hair when the head is shaken for the *"shabbal"* (the *"shabal"* will be describe later on).

Long curly hair free from the African Negroid frizziness has all been regarded as a mark of beauty as well as genealogical superior. When *Al Doon,* the slave servant of one of the *Ja'aliyyin* sheikhs married, it is said that the plaiting of her hair took three months in caravan village station of *Goz Rajab*. *Al Farrash,* the vernacular poet sang of

his love for her said:

(m) *Hail and welcome to Al Doon*

Whose hair is as strings of "rababah" (a native lute)

O, my father, should you but glance her ample hips;

You would spend all your money,

And leave your house desolate.

Al Doon had no tribal pedigree, but was obviously of mixed blood. And the plaits and "*rushshah*" of *Al Doon*'s fashion have been abandon and forgotten for the time-being. During the 1930's, a new hair fast came in, whereby the bride's plaits were considerable lengthened by addition of "*jursaih*" artificial black silk threads which hung down straight and heavy well below her hips. This fashion is still worn in form of wig and "*kafyah*" whenever the "*Gat'al-Rahat*" ritual is kept up.

The bride now always goes before the ceremony of *Al Dukhlah* the half-dresser, "coiffeur" as he is now called, the use of French word signifying the new aping of what is considered bourgeois sophistication. With the imposition of the *Numeiri shari'a* Code of September 1983, women were prevented from going to the "Coiffeur". But the fashion re-emerged in force after the demise of the Numeri regime and now appears as if it is here to stay. The bride is accompanied by her maids to the "coiffeur" and from there straight to the photographer's studio in her white bridal European dress and jewelry. But the traditional *"gat 'a-l-rahat"*. Some of the strictly religious families do not allow anyone except the bridegroom himself to attend the presentation of the

bride. Dressed in his flowing "*shiyom*" robes-now often in a European suit tailored specifically for the occasion or simply in "*jallabiyyah*" and turban- the "*aris*" (bridegroom) sits in the centre of a circle surrounded by women. The ululation of the women announces the emergence of the "*Arus*" (bride) escorted by the "*wazirah*" in a slow pace affecting reluctance, as she approaches the centre of the circle for the presentation totally wrapped up in a shiny "*garmasees*" (a shiny yellow and purple shawl from India). The bridegroom to the accompaniment of a crescendo of ululation shyly removes this veil and the bride is revealed in all her beauty but with her eyes shut and her palms meeting over her face. Then the songs praising her begin:

(n) 1: *Be delicate, do not hurry O bridegroom*
Lest precious necklace beads be scattered.

A spirit of topicality has been introduced in the songs with town's jargon mixed with the ancient rhymes and themes. For example, when electric liquidizers were introduced, these lines were added:

(n) 2: *Where where can you find the like of this*
Like the iced mango juice our bride is

To the older version:

(n) 3: *Our bride is a well groomed filly*
Our bride is like the full moon in the sky

The bride dances covering her face with the right hand whilst the left is placed at her hip. Her face is solemn with concentration and her eyes closed. The bridegroom clicks his fingers and she feigns to fall in a gleeful shouts of

"goal"- a term borrowed from the popular for match.

The bride is wearing a "*rahat*" under her wedding dress, "*rahat*" is a skirt made from narrow strips of hide and is usually worn by young girls. The strap fixing it with a knot to the hips is seen dangling from under the bride's dress. The bridegroom pulls these strings catch the "*rahat*" to fall and he throws the strings among the maidens who catch them for luck.



In earlier times, the bride was presented wearing the "*rahat*" without the dress and when this was unfastened, it would fall leaving "*garmasees*". This information I obtained from three reliable well learned old sheikh, an

unlettered villager and a lady now in her service who had experienced this in her own *"rahat's"* ritual. The learned attributed the *"rahat"* denuding to an origin of pre-Islamic Jahilia paganism. The unlettered villager thought that the denuding was mean a manifestation of the healthiness of the bride's body bearing no signs syphilis which is said to have been prevailing in many areas before coming of modern medicine. The lady simply said that such had been people's custom and that it has completely changed since the days of marriage. She added by way of comment that the denuding customary.

The Jartig

The is similar to the ritual *"jartig"* of circumcision. There are Sudanese saying (it also Arabic in origin): The son of the Arabs interested as king on the days of his circumcision and on the days of his wedding. However, the appearance of the bridegroom after the completion of *"jartig"* ritual with his *"Dafeerah"* sandal and *mahalab* paste on his with a band of red *"harirah"* and a gold necklace of beads and long sword and his unseamed wrapper-very much resembles the low to picture of a Meroetic king on the Sun temple at *Masawarat Nag'a.*

The *"jaritg"* occurs on the afternoon of the day following *"dukhlah"* and *"Gat'a-l-Rahat"*. The bridegroom goes back to mother's house after the ritual of *"jartig"* is performed. His sisters and women of his family all come with him together with many others they come to participate

in the rejoicing. Whilst the bridegroom is being ornamented the women sing the "*baneenah*" and onomatopoeic express denoting the rhythmic character of a tune, like, for example, Shakespeare's: "With a hey and ho and hey nony no". the traditional *beneenahs*" would praise the "*Aris*" and his genealogy. Seated on an "*Angaraib*" decorated with arched palm fronds, he is anointed with "*Dilkah*" and "*Khumrah*". On the completion of this he gets up with a sword hanging in its leather scabbard from his shoulder, a hippopotamus-hide whip in his right hand whilst his wrist is decorated with red silk bracelets and tassels. His "*wazir*" is given a more abbreviated "*jartig*" with sandal and *mahalab* and a sword and a whip. Then the drumming of the "*dallukah*" and "*shatam*" and dancing in the open air follow. Three or four or more women dancers from the bridegroom's family enter the arena, to be followed by an equal number from the bride's family. As each girl dances, she uncovers her hair revealing the "*rushshah*". Young men enter the arena with their sticks and swords, and they jump about hopping high in the air in harmony with the sound of the "*dallukah*", or leap in a movement called "*sagriyyah*" (like the hawk). The dance of the young woman is like the movement of a wood-pigeon. Each young woman as she dances approaches the dancing young man and shakes her "*rashshah*" plaits near his shoulder almost touching him therewith. This is called "*shabbal*". The price any young man has to pay on this occasion is to accept a whip lashing on his bare back from the bridegroom who enjoys this privilege as a part of the

ritual kingship of a bridegroom.

No wedding dance in the past was without whipping. No "*shabbal*" was awarded without its painful price. Young men, and sometimes older married men, stood for the whip as an expression of support for the bridegroom who had taken some beating in the same manner on a similar occasion of a wedding dance in their family sometimes before. This was treated as a debt to be repaid by one of the members of the indebted family.

The dance was also an occasion offering the maidens and the young men the opportunity of looking and being looked at "Come and illuminate your vision with the sight of youth". Young maidens danced to display their beauty, their dancing skill and their "*shabbal*". Young men stripped their waist in defiance whilst the whip cracked on their bleeding bare backs:

(o) *"My uncle is from the centre of the tribe not the border,*
He is the great Nile flood, not a mere pond,
The whip wept on his body without stopping.
His bare back, like the rugged rock bank did not tremble".

A famous wedding singer renounced for her passionate "*dalluka*" songs is once said to have stirred the enthusiasm of the young competing for the "*shabbal*" by singing:

(p) *The whip is not hot*
Try the dagger

One of the fatherly men watching did not hesitate to pierce "*shatam*" and the "*dallukah*" with his knife and did her

to stop her trouble making.

The "*jartig*" dance was followed by a procession "*sayrah*" by the bride's house. Celebrations with "*dallukah*" and "*shabbal*" whipping continued until the "*sibu*" (the seventh night).

After the removal of the "*rahat*" the bride was also given her portion with "*dilkah*" perfumes and Acacia- sayal smoke bath. Then she was in a "*kujrah*" (ornamental canopied enclosure). On the seventh day she would be taken to the privacy of the bed-side of the bridegroom only for a short period. Then each consecutive night the period would lengthened gradually until a complete night's privacy came in the end.

The "*aris*" was expected to achieve defloration during this time. Sudanese disapprove of, and have a revulsion towards, the genera practiced Mediterranean ritual of exposing bloody sheets. Only girls adhere to it in the Sudan.

The Sudanese house had high walls and there were no windows these walls but there were small square openings for ventilation and placed at each of the four corners of the room right up directly under ceiling. On the seventh night (*sibu*) and consecutively, there were some who would try to peep through any aperture in the single door which made of acacia wood planks, or climb up and spy through the ventilate openings. It was the function of the "*wazir*" to keep watch against naughty curiosity.

The "*jartig*" is now a mere vestige of what it used to

be, often anything more than a touch of henna, sometime before the "*dukhlah*" "*kujrah*" has been abandoned as the bridal couples in the towns have generally adopted the fashion of spending their honey-moon together at local or distant hotel. At one time *Erkowit* summer camp became popular as a honey-moon resort that sleeping cars' section of the Sudan train always smelt of the odoriterous "*khumrah*".

Nowadays often the newly married couples leave straight to the air port to go for study or employment abroad on the morning following the *dukhlah* leaving the traditional wedding breakfast of "*shi'airiyyah*" (spaghetti) to be eaten by others. Hence the saying:

(9) *The spaghetti is on the fire*
The bride is at the air port

(Footnotes)

(1) Korban Bairam, the greatest of the Muslim festivals, occurs on the tenth day of the last month of the Hijra year. Every Muslim who can afford it should kill a sacrificial beast in commemoration of the animal sacrifice made by Ibrahim (Abraham) as a substitute for the offering of his own son Ishaq or Isma'ii as a human sacrifice. After special service on the day of Korban Bairam, the Imam advises every member of the congregation to kill his beast with his own hands, for if anyone fails to do so, his "jar" (reward from Heaven) will be reduced.

(2) Abu Shubbak was also used for legal documents.

(3) Literally, the stone of blood (not to e confused with the stone usually called "bloodstone" in English.

(4) Anointing oils such as "Sandaliyyah" will be dealt with later.

(5) Some primitive tribes in India, I am told, believe that certain oils possess the magical power of enabling a pregnant woman to have an easy delivery. The swollen belly is exposed and rubbed with oil. After the birth of the child – proof that the magic of the oil has been successful-every woman present rubs her hand on the mother's belly in order to obtain fertility there from.

(6) The various symbols of the "jartig" will be discussed later on under the heading of "marriage"

(7) Shajarat al-Khalas is a kind of cactus which grows in the Hijaz, and branches of it are brought to the Sudan by pilgrims. At least one such branch is to be found in each village community in the riverain Sudan.

(8) The Shi'bah is the wooden pillar planted in the middle of the house to support the roof.

(9) By the virgin (batul) is meant Fatima, the daughter of the

Prophet Mohammed. Historically she was not a virgin as she was married and had three sons and a number of daughters by her husband Ali.

(10) Talh is a species of acacia.

(11) The green branches of the date-palm would seem to have been an Arabian symbol of fertility. Caravans carrying "howdahs" containing beautiful maidens or loved ones were frequently likened by the poets to an orchard of date palms heavily laden with fruit (see Ra'iyyah of Umr-l-Qays and Mimiyyah of Murraqqish). A woman was sometimes referred to as a palm-tree (see Ahwas, and Humayd ibn Thawr, Khizant-al-Adab by al-Baghdadi, Cairo, 1348, II, 167-8). The idea of fertility seems to have developed later into the more general idea of felicity and bliss. The Prophet is reported to have placed a green branch of the date-palm on the grave of one of the Muslims and said that would cause the deceased to suffer less in his grave (see Sahih al-Bukhari, Cairo, Sabih and Sons, I, 114).

(12) Kujrah is doubtless a corruption of the Arabic Khidr (a woman's tent). A classical "j" often became "d" in Sudanese colloquial, and vice versa, as in "dahash" (=ass), which was originally "jahsh"; and as in "jagham" = to swallow) which was originally "dagham". The vowel "u" is often changed into an "i" as in "rujal" (= man), which was "rijal".

(13) A coloured Indian cloth. Imitations of it are now made in Lancashire.

(14) Christians, however, are believed to possess the power of inflicting evil on others through their own Evil Eye (see below).

(15) From the root "halla" (to loosen). The hullalah" is an act of thanksgiving for the "loosening" of the baby and the relief of the mother.

(16) The eye of a witch is supposed to be hot.

(17) Nagar was a saint said to be as powerful in vanquishing evil as "adar' (a certain reed) in killing cows. Khidr is a prophet who is said to be immortal. He visits those in distress and usually he is so disguised that he cannot be recognized. If, however, one happens to recognize him, then he will surely grant all one's whishes.

(18) This is the first verse of Sura 85 (Quran). The women repeat the whole sura or try to do so.

(19) This is the equivalent of the English name (Dorothy).

(20) The "huris" sung to here should not be confused with the "huri"

virgins of Paradise. These are supposed to be pale creatures who dwell under the water. They are capable of doing a lot of mischief. For example, a "huri" woman may abduct a man to whom she is attracted and keep him for a long time with her in her underwater abode. "Huri" men are said to abduct or seduce women. Often they confront men in the dark and strike them with insanity.

(21) This was called "azimah". And 'azimah' used to be practiced throughout the Muslim world. It may be raced back to the pre-Islamic magical practice of spitting on the knots of a string. (Qur'an Sura, 113-5. Also see Khashshaf by Zamkhshari. Cairo, 1354 A.H., 4-244. Also see Marginal comments).

(22) More will be said about saints and saint-worship in the Sudan under a separate heading.

(23) The institution of tomb-keepers will be dealt with later under the heading of Saints and Saint-worship.

(24) Near the fifth cataract.

(25) Hamdallah & Ijil Abu Sa'idah both are Rubatab saints.

(26) Amru'l-Qays:

O Hind, do not marry a man who is a half-wit, who still possesses his original hair.

(27) Sirat Ibn Hisham, Rawd 1-29.

(28) In the North of England there is (or was) a custom of throwing fallen milk-teeth into the kitchen fire, with the incantation:

"Burn, tooth, burn!
God send another tooth;
Burn, tooth, burn!"

The tooth was sometimes sprinkled with salt. (Ed., S.N.R.).

(29) See Lisan

(30) There is evidence to show that scars were known among the early arabs (see Naka'id, ed. By Bevan).

The most common patterns were (III) for the Ga'aliyin, ≡ for Shaygiyyah and T fro the Abdallab. Sub-tribes would use combinations of these, e.g.

(31) See Fayruzabadi's dictionary (Cairo, 1938), 1-98-24

(32) Form the Arabic - Abrash.

(33) This was considered the lowest throw.

(34) This was considered the best throw, as one could stat only with a "walad".

(35) Egypt's Destiny, by General Neguib. Victor Gollancz, 1955, P. 45.

(36) More will be said later about dueling under the heading of

"marriage".

(37) Lisan Al Arab, I-476-18.

* The first article did not mention girls circumcision- may be this part was omitted in printing- ed.

(38) Dom is a kind of palm: Hyphaene thebaica.

(39) For more examples see S.N.R., op. cit., I & II.

(40) A grinding stone about 75 cm. long broad with thickness varying from 15 cm. at the base and 5 cm. at the end.

(41) Gourds were decorated with traditional geometrical patterns, so as to serve as drinking vessels for wedding guests. The gourd was thoroughly scraped at first, then decorated by scorching, engraving and dying with henna.

(42) The Ba'iyyah of Algama is No. CIXIX of the famous anthology Al Mufaddaliyyat. Ed by Charles Layall. Arabic text, Beyrouth 1920, translated by the same, vol. II, Oxford 1918, 328-9

(43) A mat made from fronds of "dom" plaited in patterns and interlaced with glittering strips of barley stalk with fringes from goats hair.

(44) An Egyptian Ardab has 336 pounds of dura. A Sudanese Ardab has 420 pounds.

(45) According to Al Fukaha 'no woman, maiden or otherwise, can be married by her father or any guardian without her consent. The Prophet, peace be upon him, said that the consent of the maiden must be obtained. Her consent may be medicated by her silence. (Fath Al Bari, Cairo, 1959, Vol. II-96-7).

(46) There is a "hadith" (tradition) in which the bride is in a special tented residence with girl singing the praise of her family. (Ibid. 11-108). Thee is also reference nuptial song very similar to our "dukhlah" says (If. Ibid. 133).

(47) From Arabic "Hujrah" (room) and khidr (a special tent for a young women or special shelter). See S.N.R.- Vol. 35-1955.

(48) Acacia arabica or nilotica

(49) Most probably derived from Arabic "Atan" abode in poetry. "aib" is Baiah suffix.

(50) "Mahalab" a Sudanese colloquial Arabic. The classical Arabic is "mahlab"